عاصفة
الغضب

الناشر

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
مصطفى الدناصورى

التصميم الداخلى
وليد محمد

دار النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى
- الحي الأول- مدينة الشيخ زايد -
الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠٠٢ -٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥
E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2016 م
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2016 - 20372
ISBN: 978 - 977 - 6580 - 04 - 6

رواية : جمال الحصري

عاصفة الغضب

٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى وصية الله في الأرض

و مفتاح جنتي يوم العرض

إلى أمي رحمة الله عليها

كم تمنيت أن يعود الزمان وأقفت بين يدك

لأنحني أقبل التراب تحت قدميك

فما ملأ الدمع الجفون إلا عليك

وما إنفطر القلب حزنا إلا فراق عينيك .

وحشتيني .....

إهداء

إلى إمتدادي

و نفسي

و كيانى

إلى أولادي عمرو ومحمد

حفظكما الله من كل سوء .....أحبكما .....

إهداء

إلى الأخ العزيز الأستاذ محمد الغنام ، أشكرك على ملاحظاتك القوية النافعة، ومراجعتك لأولى روايتي .

وأشكرك على جهدك المتواصل معي طول فترة كتابة الرواية ، كنت وستظل صديقا عزيزا وعنوانا للوفاء .

وكذلك .....

إلى أصدقائي الأعزاء (شلة السدحان) شباب الرياض الجميلة، الذين شجعوني أن ألتمس الطريق الصحيح ،

أشكركم جزيل الشكر .

في بيوت متواضعة المعيشة... عشوائية المنظر... يخترق شعاع من الضوء جدار البيت ليعلن عن فجر يوم جديد، لكنه حزين، يقتحم البيت دون استذان، يدق أجراس الخطر، ويحمل إنذارًا بالرحيل، فالبيت يقترب من السقوط.

فوق تلفاز خشبي قديم، تعلق ساعة مائلة، ضعفت عقاربها، فتوقفت منذ سنوات، تنتظر لحظة الإنطلاق، لتدور الأرض من جديد.

قطرات ماء تسقط من صنبور متهالك، يحدث صوتًا منتظمًا، ينازعه صوت ثلاجة تحتضر... أثاث مفكك أشبه برجل مريض أوشك على فراق أبدي.

على جدار البيت علقت عدة صور داخل إطار خشبي، يسقط من زاويته اليمنى شريط أسود لشخصيات وارى الثرى أجسادهم، لكنهم ما زلوا يضحكون كالموناليزا، يبتسمون وينظرون، في إبتسامتهم سر لا يعرفه إلا خالقهم.

هل يضحكون لأنهم تركوا هذه الحياة الخانقة؟... أم يضحكون علينا لأننا ندور كما يدور الزهر فوق ترابيزة القمار وسط دائرة مغلقة، إلى أن يستقر على رقم ثم يتوقف العمر.

ذكريات جميلة مضت، وحياة مؤلمة طالت، إلتهم الفقر جمالها، وعم المرض أرجائها، وشيب الجهل شبابها.

ساد الظلام فانتشر الفقر والجهل والمرض، ولكن الله أبى أن يستمر الليل سرمدًا.

دخل الهزيع الأخير من الليل، وبدأت عتمة الليل في التساقط... بعث الله لمصر شباب نباته حسن، طيب أصله، عطر رائحته، امتدت جذوره إلى الأرض الطيبة، كادت تقلتع جذور الفساد من الأرض، كالكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة التى إجتثت من فوق الأرض.

تألق ضوء الشفق في السماء، وعاد شعاع النور من جديد، امتد وسط الظلام الدامس ليضيء الطريق ويصحح الخطى، لكن المعركة طويلة، وقاسية، ومؤلمة، بدأت بفشل القرية في أن تصبح بها الحد الأدنى للخدمات، وتبددت أحلام الشباب في حياة كريمة بسيطة لهم ولأولادهم.

حالة الفقر تزداد يومًا بعد يوم، وخط الفقر يقترب سريعًا وأحيانًا إلى أبعد من خط الفقر. وارتسمت على وجوه البشر خطوطًا عريضة تنذر بشيخوخة مبكرة وحياة يائسة قادمة.

هجر الفلاحون الزراعة، وغاب البحث العلمي، وظهرت العشوائية في حلول المشكلات.

أمل ضائع وصرخة صامتة...

تلك كانت حال مصر كلها إلا فئة قليلة، هي الأكثر غنى والأفضل تعليمًا.

تبعثرت الأحلام تدريجيًا، وتواضع حلم الشباب في القرية، وأصبح أقصى طموحهم أن يحصلوا على وظيفة حكومية، ترضي لهم شهوة التعلم على مدار سنين مضت.

غزت المقاهي كل حارة وشارع وميدان، فكل عام تستقبل أعدادًا جديدة كبيرة من الذين كتب لهم القدر أن ينضموا إلى القائمة.

كان انهيار التعليم واضحا كوضوح الشمس في رابعة النهار، فكثافة الفصول والترهل والوهن في مناهج التعليم، مع قلة الإمكانيات المادية للمدارس وسرقتها أحيانا إن وجدت، سبب جوهري في أن تحتل مصر المركز قبل الأخير في جودة التعليم عالميًا بجدارة واستحقاق.

وسرعان ما انحدرت الأخلاق والقيم والمبادئ التي كانت حصنًا منيعًا ضد الفساد، تقاومه أينما كان.

الكل يعاني ألمًا وحزنًا صامتًا، يصرخ في أعماق نفسه لا يسمعه أحد، ولا يشعر به إلا نفسه، لم تعد النفس البشرية تتحمل شيئا، وضاقت بها السبل واستبدت بها المادة.

فكلما زاد الفقر زاد سوء الأخلاق.

وقفت القرية حائرة، فلم تعد تملك مظاهر القرية ولا أن تكون مدينة حقيقية.

***

(١)

في عام ٢٠٠٥ م، غرة شهر مارس، زف النائب أحمد العلايلي- عضو مجلس الشعب عن قرية البسطاء- خبر تحول القرية إلى مدينة في التقسيم الإداري الجديد لتصبح مدينة البسطاء بدلا من قرية البسطاء، أو كما يطلقون عليها بالعامية البسطا.

فرح شباب القرية بالخبر، وأخذوا يهللون ويرقصون... فمنهم من بشر الأهالى بأن ذلك كفيل بتحسين شبكة الصرف الصحي الذي اختلط اختلاطًا غريبًا بمياه الشرب، ووعدوهم برصف شوارع القرية التي كانت تعاني الأمرين عندما يحل الشتاء، فزخات مطر خفيفة كفيلة بإغراق القرية في بركة من الطين لأيام عديدة... كذلك تجديد وتطوير مستشفى القرية الذي كان تسكنه القطط وتحميه الكلاب الضالة... وتطوير شبكة الكهرباء وزيادة عدد المحولات لمواجهة أعباء الصيف ومشاكله.

لذلك يجب أن نشكر "النائب العلايلي" على جهوده الضخمة ونشجعه على استكمال النهوض بالقرية... هكذا طلب النائب من زبانيته ومؤيديه أن يندسوا بين الناس ويملئوهم أملا في المستقبل.

الزبانية فئة تجيد الكلام والنفاق، ومنهم من يبحث عن سيد يحتمي به، فهو لا يجيد دور السيد، بل يعشق دور الخادم المطيع لأوامر سيده، لعله يحظى بدائرة الاهتمام أو يجلس مع كبار السادة ويتحدث كما يتحدثون، يسير معهم ويتبعهم أينما ساروا.

هذه الفئة من البشر انتشرت في المجتمع كما ينتشر النار في الهشيم، وساعدت على انتشار الفساد وأصبح للنفاق شعبية.

والحقيقة أن النائب لم يفعل شيئًا لأبناء القرية، فالتحول كان طبيعيًا نتيجة للزيادة السكانية والبناء المتسارع على الأرض الزراعية، أسفر هذا التلاحم عن تقسيم إدارى جديد، وهو إجراء تفعله الدولة كل سنوات لمزيد من التنظيم.

النائب كان عضوًا قديما في الحزب الحاكم، كل مؤهلاته أنه يعرف كيف

يكسب الانتخابات بالتزوير، وجمع المال بطرق غير مشروعة واستثمارها أيضًا بطرق غير مشروعة، محميا بحصانته القانونية وعلاقاته الآثمة مع أصحاب المصالح المتشابكة.

وسريعًا ما عرف رجال القرية وشيوخها أن هذا التحول مجرد حبر على ورق، فليس هناك أية نية لإصلاحات... التحول الوحيد هو قسم الشرطة الجديد ، فلم يكن بها قسم للشرطة بل كان هناك نقطة شرطة، وهو تحول أمنى بامتياز، ليحكم الأمن سيطرته على الأهالي.

***

(٢)

سرى الضوء الرمادي، وغابت الشمس، واقترب الظلام... سيارة مسرعة يقودها شاب مخمور في مطلع العشرين من عمره، بجواره شباب يضحكون بسخرية على لا شيىء، أصوات حديث يقطعه الضحك، وزجاجات خمر ترتفع باتجاه السماء تذهب بعقولهم إلى الفضاء.

صدمت السيارة "الشاب توفيق"، ثم هربت مسرعة لا تبالى بما فعلت...

لاعب الجودو "توفيق عبد الصمد"، حصل على بطولة القاهرة مرتين، ومرشح للفوز ببطولة الجمهورية وتمثيل مصر في بطولة العالم، حلم لا يتوقف عن الصعود لكن الشباب المستهتر أوقفه وهرب.

أدت الإصابة إلى حرمانه من لعبة الجودو، أصبحت رجله اليمني ضعيفة تمشى بشكل طبيعى لكنها لا تقوي على اللعب والثبات عليها.

***

في منتصف الليل، صرير لباب يفتح، صوت خطوات رجل، تأتي واحدة تلو الأخرى، تقترب أكثر وأكثر، يجلس خلفه ويقيده من الخلف بقيد حديدي، يقف الرجل ويدور حوله وينظر في عينيه ويشير بأصابعه على صدره فيقسمه نصفين، يمد يده في صدره ليخرج قلبه من جسمه، يحاول أن يمنعه فلا يستطيع، فذرعاه مقيدتان من الخلف، يتوسل إليه أن يتوقف:

- كيف أعيش بدون قلب؟

يتوسل إليه أكثر وأكثر، الرجل لا يهتم بل يعبث بالقلب إلى أن انتزعه من صدره، زاد في التوسل، وقبل أن ينصرف الرجل، وعلى بعد خطوات منه، التف إليه وتبتسم وكأنه استجاب لتوسله، فأخرج من جيبه قطعة من النور ووضعها مكان قلبه.

في تلك اللحظة يستقيظ توفيق عبد الصمد من نومه مفزوعاً، مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم.

هكذا رأى توفيق في منامه ليلة عودته من المستشفى، الذى أخبره بحالته عقب انتهاء عملية جراحية أجريت له.

ذهب إلى الحاج علم الدين جاره وصديقه وسأله عن تفسير الرؤيا، أبلغه أن حزنك على عدم اللعب وراء هذه الرؤيا.

***

في مكتب الضرائب العقارية بالجيزة، جلس توفيق يرتب بعض الأوراق ويجمعها في ملف تمهيدًا لتخزينها في الأرشيف، فقد فاز في مسابقة التعيين بالضرائب العقارية وأصبح موظفًا فيها.

تزوج من "منى أحمد" صاحبة العيون الزرقاء، لا تعمل، ورثت القناعة والصبر عن أهلها، حرمها فقر عائلتها من أن تكمل تعليمها رغم تفوقها في المرحلة الإبتدائية.

رزق الله توفيق بأمل جديد بعد طول غياب من عدم الإنجاب، "حازم توفيق عبد الصمد".

زرع توفيق حب لعبة الجودو في قلب ابنه منذ نعومة أظافره، أخذ يدربه ليصبح بطلا في اللعبة، حلم يولد من جديد.

يخرج من المدرسة إلى البيت، ينام قليلا، ثم يتجه إلى صالة التدريب بالنادي الصغير الذى يعمل فيه والده مدربًا للجودو مقابل أجر زهيد بجانب عمله في الضرائب العقارية.

يعود ويستعد لمراجعة دروسه، يمارس بعض التمارين على سطح البيت قبل النوم ومعه والده، هكذا كانت حياة حازم منذ الصغر... شب ورياضة الجودو رفيقة دربه، وحلم والده، أما حلم والدته الذى دائمًا ما تدعو له به، أن يكون "ضابط شرطة".

في الصف الثالث الإعدادي، فاز ببطولة القاهرة للناشئين تحت ١٦سنة، إلى جانب فوزه بعديد من البطولات على مستوى المدارس الرياضية المتخصصة.

في الصف الأول الثانوي فاز ببطولة الأسكندرية، بعد مواجهة "منذر شوقي"، خصم ضعيف قادته الواسطة للوصول إلى النهائي، لكن حازم هزمه بالقاضية وأظهر مستواه الحقيقي أمام الجمهور.

فمنذر لم يبدأ في تعليم الجودو إلا منذ شهور قليلة، ورغم ذلك أرسله الإتحاد المصري للجودو لتمثيل مصر في بطولة العالم للناشئين في اليونان، في نفس الوزن الذي يلعب فيه حازم.

صدمة قوية وإحساس بالظلم وقع على والده، حجر كبير يسقط من فوق الجبل، محاولًا غلق الطريق، فليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

أصر توفيق على رد الحق إلى أصحابه، فأعلن التحدي على صفحات الصحف الداخلية، نشرت قصة حازم وفوزه ببطولتي القاهرة والأسكندرية، وفوزه على منذر شوقي بالقاضية، وتساءلت الصحف: كيف يصل الفساد إلى هذا الحد؟

لكن أحدًا لا يبالى، فقد انتشر الفساد وسادت ثقافة الغاب. فهناك أصوات تصرخ وجهات لا تهتم، شباب يرفض وفئة تواصل.

ذهب توفيق إلى مسؤول الاتحاد وشرح له القصة، مدعومًا بكافة الشهادات والبطولات التى حصل عليها.

- انفعل المسئول: كيف يتم هذا في عهدي؟... لابد من معاقبة الفاسدين على الفور... اكتب شكوي لي حالًا قبل أن تتحرك من هنا، فانفرجت أسارير توفيق.

مرت أسابيع تلو أسابيع، كل أسبوع يذهب ويسأل على نتيجة الشكوي، والمسئول يرد:

- نحقق في الأمر لا تقلق.

أمام موظف الإستقبال في مبني الإتحاد، تعب توفيق وكاد يسقط على الأرض، أخذه عامل البوفيه إلى غرفته وأجلسه على كرسي قديم، رجع برأسه إلى الخلف، في محاولة لوقف قطرات الدم المتساقطة من أنفه بسبب ارتفاع ضغطه.

همس عامل البوفيه في أذن توفيق:

- لا تتعب نفسك يا كابتن... إنت صعبان عليَ أوي.. المياه لا تسير بالعالي... أنت عارف من هو المسئول الذى أخذ منك الشكوي؟

- من؟

- هو خال منذر شوقي، وهو الذي سعى إلى إدخاله لعبة الجودو، سمعته ذات يوم وهو يتحدث في الهاتف ويوصى على ابن إخته.

- ياالله!... ما كل هذا الظلم.

- اترك أمرك لله، مع السلامة.

واجه توفيق المسئول بحقيقة الأمر، فكشف عن وجه الحقيقي، ووجه لتوفيق إنذارًا شديد اللهجة:

- لو لم تكف عن الحديث عن هذا الموضوع سأشطب حازم من الإتحاد وأنهى حلمه في الحصول على أى بطولة.

سبق السيف العزل، وقضى الأمر... وقف توفيق أمام ابنه حازم، ضامر الوجه، ممزق العزيمة، وكأن الأدوار تبدلت، شعر أنه طفل صغير أمام إبنه، لا يستطيع أن يفعل له شيء.

إحساس صعب أن يكون لابنك حق مهدر، وأنت لا حول لك ولا قوة أمام الظالم، ربما لو كان للأب حق لتنازل عنه، لكنه حق ابنه الشاب الصاعد للحياة. هذا أمر صعب على أى أب.

تخرج حازم من الثانوية العامة وحصل على مجموع ٨٠٪، وقدم أوارقه إلى كلية الشرطة تحقيقا لرغبة والدته، لكنه اصطدم من جديد بالواسطة، وتكلفة الدراسة فيها، وكثرة عدد المتقدمين إلى الكلية.

اختار كلية التربية الرياضية، بالرغم من أن مجموعه يدخله كلية التربية العام، لكنه انتصر لحلم والده في أن يتوج بطل العالم في الجودو في يوم من الأيام، فهو يملك من الإمكانيات والتدريب والموهبة والعزيمة لتحقيق الحلم.

اختار أن يلعب تحت اسم الكلية لتدعمه. بعدها يتقدم إلى أكاديمية الشرطة بعد حصوله على بطولة الجمهورية، هكذا خطط وتمنى.

تميز حازم بخلق رفيع وسريرة طيبة، تجده بجانب الناس في وقت الشدة يواسيهم ولا يتركهم، ورث خلقه الطيب عن والده، صبورًا، قليل الحديث.

له شعبية جارفة بين جيرانه. فهو الوحيد الذى يسمح له بدخول بيوتهم ليساعدهم في بعض الأشياء البسيطة التى يحتاجونها، الكل يعرف أمانته وأخلاقه ولديه خبرة في الكهرباء وبعض الأعمال المنزلية، يطلبه الجيران هربًا من غلاء أسعار الفنيين، لا يأخذ شيئًا مقابل ذلك غير دعوات الناس له ولأبيه بالرزق الوفير.

علاقته بعمه صابر طيبة للغاية، وكذلك علاقته بوليد إبن عمه، أما رشا بنت عمه فهى مالكة قلبه ومنتهى أمله في الحياة.

***

(٣)

يضع مفاتيح البيت على منضدة خشبية قديمة عليها زهرية من الفخار تحتوي على تربة طينية تخرج من بين ذراتها وردة تشع جمالا، تعطي الناظرين إليها راحة في النفس. تمكث أسابيع وسرعان ما تعلن عن سقوط أوراقها الواحدة تلو الأخرى.

"صابر شاكر"... رجل من بقايا الزمن الجميل، موظف على الدرجة الأولى بالبريد، كرس حياته في تعليم إبنته "رشا" الكبيرة وإبنه "وليد"، تحمل المسؤولية كاملة بعد وفاة زوجته منذ سنوات طويلة.

لم تكن حياة "صابر" سهلة على الإطلاق، كان في ريعان شبابه وقت وفات زوجته، واجه قساوة الحياة، قلة الدخل، وصعوبة تحمل مسؤولية تجاه ابنته وابنه.

كان يقضى الساعات الطوال في البيت، لا يستطيع أن يخرج ليبحث عن عمل آخر ليساعده على تحمل أعباء الحياة، حتى لا يترك ولديه بين أربعة جدران لا يعلم عنهما شيئا... ساعدته "منى" زوجة أخيه توفيق ولم تبخل يوما عليهم من وقتها، إحتضنت رشا ووليد، كما إحتضنت إبنها حازم.

لكن القدر الذي حرمه من زوجته، أعطاه فتاة متفوقة في دراستها، حصلت على مجموع كبير في الثانوية العامة، أهلها لدخول كلية طب الأسكندرية، لكن ظروفهم لن تتحمل مصاريف الغربة بمحافظة أخرى، ودراسة كلية الطب تزيد من أعباء والدها المادية لسنوات، كما أن تركها للبيت كان مشكلة كبرى: من يرعى والدها وأخيها في غيابها؟

تنازلت عن حلمها من أجل أسرتها، ودخلت كلية التربية العام، تحاول دائما ألا تزيد على والدها أعباء الحياة. لم تبالغ يوما في متطلباتها، تتحمل، تقاوم، تدبر...

هكذا صبرت على ظروف قاسية تزداد يومًا بعد يوم، الأسعار في ارتفاع مستمر، والزيادة البسيطة في مرتب والدها لا تفي بأبسط متطلبات الحياة، حرمت من والدتها وهي صغيرة، قامت بدور الأم وهي طفلة، كثيرًا ما ادخرت

من مصروفها القليل لتشري قميصا أو بنطلون لأخيها وليد.

ملابسها لا تتعدى أصابع اليد، رغم بساطتها إلا أنها تبدو متجانسة، تحرص عند شراء قطعة جديدة لعلها تلائم كل ملابسها فتغير بينهما كما تشاء.

أمام المرآه تقف رشا، تتراقص على أنغام عود شرقى أصيل، تحرك يديها الناعمتين كنعومة الحرير على قدها المشدود، وصدرها المتوج كأنه صرح جمالى أشم. تمرر يداها الصغيرتان على عنقها المنقوش كلوحة فنية نادرة جمع خطوطها فنان عالمي.

تلامس شعرها الأسود الداكن كلمسة الندى لأوراق الورد، نظرة واحدة من عينها الساحرتين تنقلك من عالم الجمود إلى عالم الفرح، بكائها كفيل أن يبكي الحجر، وابتسامتها تطيل السمر. تلك هي رشا بنت مصر القديمة، بل قل: نبض مصر الأصيلة.

لكن هناك شىء آخر أكثر جمالا، إنه حبيبها حازم، وإبن عمها وجارها في نفس البيت.

"حبيبي الغالى الذي طالما دافع عني وأنا صغيرة، دائما حضن دافىء من برودة الشتاء القارس، وحصن منيع من غدر الأيام، أعشقه بجنون، أبى وعمي "توفيق" يعرفان ذلك، لكن خجله منعه أن يعترف لي بحبه حتى الآن.

خجله وحرصه على الأمانة التى أولاها له عمه جعلته يتصرف معي بحرص شديد. خوفا على سمعتي وسمعة أبي، يا له من شخص رائع في كل شىء: أخلاقه، إبتسامته الجميلة، قوته في مواجهة الحياة.

يوما نظرت في عينيه الزرقاوين، فرأيت حبا ليس له حدود، لم يستطع أحد منا أن ينطق بكلمة، الأيادي تلامست فتشابكت القلوب، يومها كتب لنا القدر الحب المحتوم.

ما زلت أذكر عندما كنا في مدرسة البسطاء الإبتدائية المشتركة، كنت في الصف الثاني بينما حازم في الصف الثالث، حينها علم أنني وقعت على الأرض بسبب التدافع لدخول الفصل صباحا، فكسرت سنتي، وغطى الدم شفتي،

حينها جرى نحوى بسرعة وهو يبكي، توسل إلى الاستاذ أن يأخذنا بسيارته إلى المستشفي، رغم أن المشرفة طمأنته بأنها فقط مجرد سنة واحدة، إلا أنه زاد من توسله.

وأمام الضعف الانساني تجاه طفل يتوسل وطفلة يتساقط منها بعض الدماء، أخذنا الأستاذ إلى المستشفي ثم انصرف ليلحق بحصته، لم يكن حازم معه ثمن تذكرة دخول المستشفى فعرض على موظف الإستقبال أن يحتفظ بحقيبته التي يمسك بها كرهن عند الموظف، وسوف أحضر لك المبلغ فور علاجها.

تبسم الموظف وسأله:

- ما قيمة هذه الحقيبة حتى أحتفظ بها كرهن؟

- إنها حقيبتي، بها كتبي، لا أستطيع ان أذاكر وأذهب إلى المدرسة بدونها.

تبسم الموظف وقطع له تذكرة دخول من حسابه الشخصي، ثم دخل حازم على الطبيب وقد جفت الدموع من على وجهه الصغير الناعم، وحل الخوف والقلق بدلا منها، وأخرج من حقيبته سنة رشا وأعطاها للطبيب ورجاه أن يعيدها مكانها.

ضحك الطبيب كثيرا وحضنه وطمأنه أن الله سبحانه وتعالى سيعيد لها سنة أحلى وأجمل من الذي وقعت، ثم نظف الطبيب مكان أسنانها ووضع قطنة على اللثة وعدنا سويًا.

هكذا عرف قلب حازم حب رشا قبل عقله، طفولة بريئة وحب عفيف طاهر، ينمو يوما بعد يوم.

هذا العام سيتخرج حازم من كلية التربية الرياضية، وما هي إلا شهورقليلة بعدها ويأتي ليخطبني.

على صوت آذان الفجر يستقيظ وليد مسرعا إلى الحمام ليتوضأ لصلاة الفجر متمتما بصوت عالى بعض الشيء بأذكار الصباح، يضع مؤشر الراديو على محطة القرآن الكريم، يعلو صوت القرآن الكريم في البيت، محاولا أن

يوقظ والده وأخته للصلاة حاضرة.

يخرج إلى المسجد يصلى، دقائق وتستيقظ رشا، يتبعها والدها صابر، تقف رشا بجوار والدها لصلاة الفجر في البيت، وليد يرفع آذان الفجر كل يوم بعد سفر مؤذن المسجد المعتمد من قبل وزارة الاوقاف.

وليد تارة يميل إلى الصوفية وتارة إلى الزهد وأخرى إلى الإعتكاف وإنعزال الناس، حالة من التمرد والعصيان داخله يحاول أن يتفاداها بمظاهر التدين، دائما يسأل نفسه:

كيف يزهد المرء وهو لايملك شيئا، كيف يزهد الفقير، أليس الأولى أن يكون غنيا ثم يقرر الزهد؟... يا لها من منزلة عظيمة لو صح ذلك، لكن زهد الفقير ربما يكون مشكوكا فيه، قد يكون صبرا على ما قسمه الله بين العباد لكنه ليس زهدا.

وليد حصل على الثانوية العامة بمجموع ضعيف بعد مرتين فاشلتين، دخل المعهد الفني التجاري آملا أن يواصل تعليمه، رسب مرة أخرى، دخل معهد الخطوط محاولا أن يحصل على أى مؤهل، ولكن عالم الخطوط يحتاج إلى من يعشقها.

ترك الدراسة، ووقع بين حيرة العمل كصبى يتعلم من أول الطريق، وبين أن يعمل في بوفيه بإحدى الهيئات أو المصانع.

لم يكن متدينا بحق، لجأ إلي التدين وإطلاق اللحية حتي يحقق ما يميزه بين الناس، نظر إلى أصدقائه الذى أكملوا تعليمهم بحسرة فاختار طريق الدين ليحصل على لقب شيخ.

***

(٤)

في بيت مكون من خمس طوابق، الأول منه معد دائما لإستقبال العامة، يجلس رجل طويل القامة ذو شارب كث، على وجهه يرتسم الغضب، حاد الطباع، غليظ اليد، عشوائي المنظر، يأخذ كرشه مساحة من البيت الواسع، يطالع الأخبار مبتسما إبتسامته الصفراء.

"محمد واصل البياع"، عرف بالحاج واصل، رغم أنه لم يحج يومًا، مسؤول تنظيمي بالمحافظة، يعرف من أين تؤكل الكتف، خبير بشئون الإنتخابات، يعرف كل صغيرة وكبيرة فيها، له علاقات واسعة بين السياسيين، ويلجأ إليه المسئولون لوضع خطط الإنتخابات، يمتلك خبرة كبيرة في تزويرها.

تنزل أنجليلا الخادمة الفليبينة لتخبره بأن النائب "أحمد العلايلي" على الهاتف.

يصعد مسرعا إلى الطابق الثاني. يمسك الهاتف، يبالغ في إظهار نفسه المتقطع.

- أهلا سيادة النائب.

- آسف... لم أسمع اتصالك على الموبايل.

- أنت أول مرة تدخل الانتخابات ولا إيه؟

- كل حاجه تمام والرجالة جاهزين.

- لا تقلق يا سيادة النائب... الناس هتلاقي زيك فين.

وقبل أن ينهي المكالمة، أخذ يذكره بصوت منخفض فيه رجاء إنساني.

- لا تنس يا أحمد بيه موضوع أدهم إبني... دائما يقول البركة في أحمد بيه... وهو ابنك برضو، ده شغال مع زمايله ليل نهارعلشان الانتخابات.

إنتهت المكالمة بإبتسامة صفراء باهتة.

أدهم البياع إبنه الأكبر طالب في كلية التربية الرياضية، دخلها بعد رسوبه عاما في الثانوية العامة.

***

تجلس "هدى واصل" غرفتها، تتصفح مجلات الموضة وأدوات المكياج، تقلب صفحات ولا تنظر إليها، فهى مشغولة التفكير بسامح:

- رآني أمس مع فادي بسيارته المرسيدس في وضع مخجل... هل سيخبر أخي أدهم فهو زميله في نفس الفرقة، أم يحتفظ بالسر في نفسه، أو ربما يستغل الموقف ويقيم علاقة معي، فلا مانع من ذلك أذا أراد. سامح ليس صديق أخي أدهم مجرد زميل، فأدهم ليس له أصدقاء، يمتلك قلب من صوان، عاشق للنساء، منبوذ من زملائه دائما بسبب تصرفاته... على أية حال إذا أخبره سأنكر ذلك، أبي سيصدقني ويحميني من غضب أمي.

هدى طالبة في الصف الثالث بكلية الآداب بالجامعة الأمريكية، فتاة مستهتره، عاشقة للهوي، ماكرة الدهاء، خبيرة في الكذب، متوسطة الجمال، تحب الخروج مع الشباب لتسمع منهم بعض العبارات التي تشعرها بأنوثتها وتفوقها على كل البنات.

***

- كيف حالك يا فريدة؟

- الحمد الله... كنت عند الدكتور أمس، ونصحني بأن أخس شويا، علشان السمنة تعباني أوي.

- واصل: طيب قللي من الأكل شويا.

- أنا محتاجة أروح الجم الحريمي يا واصل.

- جم إيه يا شيخة، إحنا كبرنا خلاص... كلماته ثقيلة كالعادة عليها.

واصل يغير الحديث قائلا:

- فين الولد أدهم لم أعد أراه كثيرا؟

- لا أعرف عنه شيئا... إسمع يا واصل، دلعك الزيادة مع الأولاد هيبوظهم... أدهم رسب مرتين في الكلية بسبب دلعك فيه.

- لا تقلقي إن شاء الله سينجح السنة دي، هو وعدني وقال لي الكلام ده.

- عشم إبليس في الجنة، إنه لا يدخل البيت إلا الفجر.

- يا فريدة إحنا بنتعب عشانهم، خليهم يأخذوا راحتهم... على فكرة وعدني النائب عندما ينتهى أدهم من إختبارات الكلية هذا العام سيتوسط لإدخاله أكاديمية الشرطة ليصبح إبننا ظابط يا ستي.

يواصل حديثه: لكن هناك مشكلة تقلقني، الأكاديمية لا تأخذ من كلية التربية الرياضية إلا أصحاب البطولات... وأدهم طبعا بطل العالم في السهر والبوظان، سأضغط على النائب أكثر في موضوع أدهم.

إقتربت الساعة العاشرة مساءا، وواصل يجلس يراقب برنامج توك شو بصمت:

- مش شايف أن البرامج دي زودتها شويا الأيام دي يا واصل؟

- كل واحد يا فريدة له مساحة لا يستطيع الخروج عنها، وإذا حدث وتجاوز الخط المحدد له، قولى عليه يا رحمن يا رحيم.

- لكن الهجوم أصبح عنيفًا الأيام دي على الحكومة، وشبكات التواصل الإجتماعي تشكل ضغطًا كبيرًا، وكل يوم يزيد عن الآخر.

- في المقابل كل يوم الغلاء يزيد، والمشاكل تزداد تعقيدًا، والحكومة مش عارفه تعمل إيه ولا إيه... لذلك لازم نسيب الناس تفرغ كبتها شويه، لأن الكبت يولد الإنفجار.

- نعم الكبت يولد الإنفجار.

- بتقولى حاجه يا فريدة؟

- ايوا بس أحيانا الضغط الإعلامي بيشكل ضغط كبير على الحكومة.

- إسمعي يا فريدة فيه أكل بدون توابل؟

- أكيد لا.

- الحاجات دي زي التوابل، لازم يسبوها علشان الطبخة تسبك.

تصعد فريدة شقتها، وعلى أوتار موسيقي شرقية تسري في بلكونة الدور الثاني من البيت تجلس، تراجع حال سنوات مضت:

كيف إستطاع واصل أن يخدعها قبل الزواج، كيف قبلت عندما إكتشفت حقيقته الوصولية أن تستمر معه طوال سنوات مضت؟

إنه لا يعيرها أي إهتمال، كلماته كلها كذب، ليس له هم في الدنيا إلا جمع المال وخدمة أصحاب النفوذ.

فريدة الشوبك، سيدة شرقية الملامح من سيدات العائلات الكبيرة، إستطاع واصل أن يقنعها بمهارة فائقة بحبه لها وبعشق ليس له حدود وعليها أن تتنازل بعض الشيء حتى تضمن العيش في سعادة أبدية، فحبيبها- كما بدا لها- مثالى في الحب والهوى، ويعشقها بجنون، أنصتت إلى نصيحة جدتها لها بأن تتزوج من يحبها أفضل من أن تتزوج من تحبه هي.

ظلت في حيرة فترة طويلة، فواصل أقل منها في المستوى الإجتماعى والثقافي، فهي خريجة الجامعة الأمريكية، واصل خريج المعهد الفني التجاري، لكنه برز مع كبار الساسة ومستقبله مضمون، هكذا أخبرها والدها.

في النهاية حسمت كلمات واصل الناعمة قرار زوجها إلى حد بعيد. وها هو الآن منذ زمن لايبالي بها، لكنها تعودت أن تكتم حزنها مع نفسها، وهذا سبب إرتفاع ضغط الدم الزائد لديها.

صدق توقع والديها أن مستقبله سيكون مرموقا، وأخطات جدتها، فليس كل تنازل من قبل المراة يقابل بتقدير من كل الرجال.

إقتربت الساعة من الواحدة ليلا، شعرت فريدة ببعض القلق، صعدت الى

الدور الرابع لتطمئن على أدهم إبنها، فلم تجده: ياله من ولد مستهتر، ورث كل الأخلاق السيئة عن أبيه، غوايته الوحيدة السهر مع الفتيات وأحيانا مع النساء، أخشى أن يستمر هكذا، كنت أحكم السيطرة عليه منذ صغره، لكن تدخل واصل أفسد تربيته، الآن لا يبالي بشيء وهو يرفع صوته على أمه، ويعرف أن أبيه لن يفعل شيئا عندما يعلم انه تجاوز في حقي، سحبت منه سيارته كثيرا كنوع من العقاب، لكنه بإعتذار بسيط لواصل يعيد له كل شيء.

- ماذا أفعل حتى يستقيم إبني؟... إنه أقرب إلى الضياع... منذ عامين عاشر فتاة ليل وحملت منه وظلت تستنزفه طوال شهور، ولولا أن واصل علم بالموضوع لكانت المصيبة، بعد أن أحضر الفتاة واتفق معها أن تجهض نفسها مقابل مبلغ مالى كبير، قتل نفس حرم الله قتلها إلا بالحق، من أجل نزوات إبنه، لولا جرأة واصل لكنا في مصيبة حقيقية، طفل لا حول له ولا قوة، لا نعرف من أبوه، ربما يكون أدهم، وربما يكون غيره، لكنه سينسب لنا في النهاية، غير الفضيحة، وربما توقف زواج اخته هدى، الحمد الله على كل حال، ويسامحنا على ما فعلنا.

جلست فريدة في غرفة أدهم تنتظر قدومه، ربما يشعر بها عندما يأتى في الثالثة فجرا، دخل أدهم ورائحة الخمر تفوح من فمه، فرأى فريدة أرهقها السهر، فنامت مكانها فلم يوقظها حتى لا يسمع كلاما منها فيفيق بعد سكر، فنام وتركها نائمة.

***

(٥)

عاد من عمله، صعد غرفته، فتح شنطته أمام زوجته، علب سجائر فاخرة، برفانات غالية الثمن، دهانات جنسية، حبوب تقوية، علب شكولا فاخرة، هدايا أخرى... يضع يده في جيبه، يخرج عملات نقدية متعددة، دولار وغيرها من عملات خليجية.

"يسري فايق" والد لثلاث أبناء أكبرهم سامح بالفرقة الرابعة بكلية التربية الرياضية، ثم زينب طالبة في الشهادة الإعدادية، يحبها ويدللها بحكم أنها إبنته الوحيدة، وإبنه الأصغر أسامة طالب في الصف الأول الإعدادي، الإبن المدلل لدى والدته لأنه الاصغر.

موظف في جمارك مطار القاهرة، خبير بحكم عمله في فحص القادمين من السفر، بنظرة واحدة يستطيع أن يفرزهم، بعدها يحدد الطريقة التى يتعامل بها مع القادم من السفر، إما أسلوب الشدة أو اللين او الشحاتة إذا لزم الامر، وإلا فإستخدام سلطاته في التفتيش الدقيق وتأخير القادم لبعض الوقت. لكن ليس لديه القدرة أن يمرر شنطة مخدرات أو ذهب أو عملات أجنبية، طموحه في الرشوة والفساد لايتعدي الهدايا البسيطة.

بدأت مرحلة الرشوة عنده بصراع كبير داخله استمر أسبوعين كاملين في بادىء الأمر، وجد نفسه منبوذا بين زملائه، يعاملونه بحذر، لا يتحدثون معه إلا قليلا، معرض للنقل إلى أرشيف الجمارك، خوفا من أن يخترق جدار الفساد والرشوة.

لا يملك سعة من المال لسد إحتياجات البيت في ظل الإرتفاع المتسارع في الأسعار، كذلك طلبات الأولاد التى لا تنهتي، التي حسمت الصراع داخله بإنتصار حالة الفساد والرشوة.

يعمل أربعة أيام كل أسبوع، يتمني أن يعمل طلية أيام االأسبوع، يتسابق ليحضر مكان زميله إذا مرض أوغاب لسبب طارىء.

سامح يعرف مصدر دخل والده الزائد عن وظيفته، لأن الوظيفة لا تعطي دولارات وهدايا ثمينة، فهو يعرف أن والده مرتشي ولا يبالى أن يأخذ زجاجة

عطر من الأنواع غالية الثمن، يستخدمها ويتباهى بها أمام زملائه.

عندما يسألوه من أين لك هذا؟... يرد بأن والده إشتراها له من السوق الحرة بالمطار.

سامح يسري، يحب الأشياء السهلة، إجتماعي بطبعه، لا يترك واجب إلا ليفعله، يتغاضي بعض الشيء عن كرامته من أجل عيشة أفضل، وإن كانت سريرته طيبة، حافظ للسر، فليس بالشاب المنحرف أو المستهتر فهو يتوسط الاشياء.

مستعد لأن ينحرف سلوكيا مثل أبيه إذا وضع في مكان عمل يسمح له بتلقي الرشاوي، بعدما راى والده يتقبلها بصدر رحب، بالرغم من أن هناك شيء ما مكسور داخله، بسبب مصدر دخل والده الزائد بطرق غير مشروعة، إلا أنه غالبا يحاول أن يهزم هذا الهاجس داخله بعدم التفكير فيه، ودائما يختلق لأبيه المبررات الأجتماعية لذلك معللا لنفسه بأن والده ليس الوحيد الذي يفعل ذلك.

"عفت لطفي"، زوجة يسري فايق... تعرف من أين له ذلك وتساعده على بيعها، فالفقر والحاجة يعتبرونه عيب يخجلون منه، لذا ليس لديها مانع أن يخرج على النص بعض الشيء، ودائما تحذره خلى بالك من نفسك.

تعرف أن فضيحة الرشوة في المجتمع المصري، نوعا من العار يلحق بالبيت، والعار لايمحوه الزمن، فهو أطول عمرا حتى من الموت، فالإنسان يموت وتبقى ذكراه يتداولها الناس لفترات طويلة.

ورغم ذلك، هم يصلون، يصمون يذكون، يدبحون في عيد الأضحى كنوع من التباهي أمام الجيران، ويتطلعون إلى حج بيت الله الحرام بعد زواج الأولاد، كل المناسك والمناسبات الدينية يحرصون عليها وليست هناك مشكلة.

الرشوة عندهم شيء والدين شيء أخر، تقبلوا الوضع على أساس أن الضرورات تبيح المحظورات.

علاقتها بجيرانها طيبة، فهي من أسرة طيبة لكن إنحرفت نتيجة الظروف التى تمر بها البلاد من فقر وغلاء متزايد، سيدة بيت تحتاج من يوجهها وينصحها أحيانا، وبسبب ضعف شخصية زوجها تبدو كأنها رجل البيت.

***

(٦)

في صالة تدريب الجودو بالكلية يجلس نادر ينتظر دوره ليقابل أحد زملائه في أخر تدريب لهم يختبر الطلاب فيه العملي، بعدها تبدأ الإمتحانات النهائية ثم الحصول على شهادة بكاريوس التربية الرياضية، تخصص لعبة الجودو، ثم مواجهة الحياة والإعتماد على النفس. "نادر علم الدين"، يجلس وبجواره مينا، وحازم توفيق، وسامح يسري.

الوالد " الحاج علم الدين" - كما يلقبونه- مدرس تربية فنية عمل بالخليج لفترة طويلة، عاد بعد أن بلغ سن الستين، وبنى بيتا من ثلاث طوابق له ولأبنائه، حصيلة سنوات الغربة، هو أحسن حالا من جيرانه، لكنه لم يدخر إلا الشيء البسيط من أجل المعيشة، وبقى المعاش الزهيد ليكمل به تعليم ابنه نادر الذي عاش مراهقته في الخليج، شعر بضيق الحياة هناك، فلا مكان للفسحة والتنزه بشكل كبير.

الأجواء هناك مهيأة للعمل فقط، وأما أجواء الأسرة فهو محروم منها، فالحياة الأسرية تحكمها العادات والتقاليد العربية القديمة، مازال الإلتزام االديني يشكل عبئا على حياة الشباب هناك، لم ير أى بنت هناك، غير إبنة عمه التى إنفصل عنها بعد أن أصبح شاب..

لا يراها إلا مغطاة الوجه واليد، كلمات بسيطة بينها وبينه، لكن هذه الكلمات، إستطاعت أن تنقل عبر أثير العيون مشاعر الحب والجنون، رسم أحلاما وردية، كتب قصيدة حب أبدية، إختارها لتكون حبيبته فلا خيار غير ذلك، لذلك يصر على العمل والنجاح داخل مصر، ولا يرغب في السفر، فالأجواء لا تناسبه، حضر إلى مصر بعد نجاحه بالثانوية العامة بالخليج، وها هو ينتظر عودة عمه من الخليج ليرى حبيبته وزجة المستقبل.

- حازم: أتمني ألا أقابلك يا صديقي العزيز مينا.

- مينا: لماذا يا حازم؟...

- لا أنسى عندما نقابلنا في درجات العملي السنة الثانية وكانت رجلي

اليمني مصابة، فرفضت أن تستغل نقطة ضعفي وتصيبها بأى سوء، كان بإمكانك أن تنهي اللقاء في أسرع وقت، وأخسر درجات العملى، لكنك أنهيت اللقاء بقارق بسيط بيني وبينك، هذا جميل لن أنساه.

- يا عزيزي حازم، إننا أصدقاء منذ زمن، ما يحزنني أنني سوف أحرم من طبق الملوخية الخاص بماما مني.

- يضحك حازم: لا تقلق، فأمي تحبك جدا، يا ريت كل المصريين مثلك يا حازم؟

- لماذا؟

- هناك عناصر غريبة تشعرني أحيانا بالتفرقة.

- هم أغبياء لا يفهمون وربما مدفوعون.

- أنظر الى هذا الذي يلعب بالحلبة؟

- من؟... أدهم البياع.

- أتعرفه يا حازم؟

- أعرفه وسامح يعرفه جيدا.

- متكبر ومغرور.

- أنا أيضا لا أحبه له مواقف ليست لطيفة معي... ولكن كلنا مظلومين يا مينا في هذا البلد، الفقر لا يميز بين مسلم ومسيحي.

- لا فرق بينا كلنا سواسية، ولا تنسي أن الغرب عاش طويلا يخطط ويدبر كيف يشعل الفتنة الطائفية في مصر ولم يستطع.

- حاربنا وإنتصرنا سويا، وإختلط دمائنا بتراب مصر، ليس هناك عاقل إلا ويعرف أن أصلنا واحد.

- كيف تنسى ذلك؟

- ألم يكن الشعب المصري كله من الأقباط قبل فتح مصر؟

- نعم.

- إذن فالمسلمون كانوا أقباطا وأسلموا بعد الفتح، لم يأت المسلمون من خارج مصر بل من الأقباط، فنحن شعب واحد، التاريخ والحقيقة تقول ذلك.

- ليس لدى شك أننا واحد. ولكن فئة جديدة ظهرت في المجتمع المصري تدعو إلى التفرقة.

- يحزنني أن أسمع أن تهنئة المسحيين حرام في شريعتكم عند بعض الناس.

- هؤلاء دخلاء على العلماء والشيوخ، منهم من يحب الظهور بكلام غريب، ومنهم من لا يفهم الدين فهما صحيحا. واذا اردت أن تعرف الدين الحقيقي أنظر إلى البسطاء والعامة تجد الدين في طبيعتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض.

- نعم كلامك صحيح يا حازم، وطبق الملوخية شاهد على ذلك.

- نادر (يتدخل في الحوار): لكن حوادث الفتنة الطائفية كثرت خاصة في الصعيد.

- سامح: الصعيد تحكمه القبلية وليس الفتنة الطائفية، ربما طفل صغير يشعل الحرب بين عائلتين.

- حازم: المشكلات في الصعيد أحيانا يصعب السيطرة عليها، العصبية تلعب دورا كبيرا فيها.

- مينا: عدم السماح ببناء الكنائس سبب كثير من المشاكل.

- سامح: بناء الكنائس يحتاج إلى تقارير أمنية عديدة.

- حازم: نعم العدل يقتضى أن يكون هناك حرية في العبادة.

- مينا: لا تتحدث عن العدل في الشرق الأوسط.

- نادر: كنت أحزن وأنا في الإبتدائي عندما ياتى مدرس التربية الدينية،

وتخرج جورجت جارتي من الفصل حتى تنهي الحصة، فأعود وأسأل والدي: ما ذنب جورجت أن تترك لوحدها وكأنها إرتكبت ذنب لكونها مسيحية؟

- مينا: وماذا كان يرد عليك؟

- نعم، يجب على وزارة التربية والتعليم أن توفر مدرس تربية مسيحية للطلاب الأقباط.

- سامح: باقي شوية ونرفع الجلسة، زى مجلس الشعب.

- مينا: مجلس الشعب الجديد ربنا يستر عليه.

- حازم: ليه ماله؟

- مينا: لن يكون هناك مقعد لمعارض.

- حازم: لاحياة لمن تنادي.

- نادر: تفتكر البلد دى ممكن ينصلح حالها؟

- حازم: ممكن لو الشعب بطل يقول إحنا حضارة سبع آلاف سنة وبدأ يعمل بجدية.

- سامح: عشم إبليس في الجنة.

- مينا: أنت متشائم أكثر مني يا حازم.

- سامح: انتهت الجولة وإحتمال أقابلك يا حازم. يارب اقابل نادر.

- نادر: هل رأيت من قبل يا سامح اليوم الأسود.

- سامح: لا.

- نادر: ستراه اليوم، سأنهي اللقاء منذ اللحظة الاولى.

- سامح: وأنا سأكون عند عمي علم الدين في االدقيقة الثانية أشتكي له.

ضحك الجميع. وارتفع صوت المدرب: سامح يقابل حازم، ونادر يقابل مينا.

***

(٧)

إقترب الذئب من فريسته، أشهر أسلحته، كلمات ناعمة كاذبة ألقاها على مسامعها، رفضت أن تسمع، كرر الحديث عن جمالها وعذوبتها، أقسم لها أن يختصر جميع نساء العالمين فيك يا جميلتي، أثرى الحديث قلبها لكنها أخفته عن وجهها قليلا إلى أن وعدها بالزواج، فاستسلمت للشيطان...

- فكرت: لما لا يحبني؟... الحب لا يعرف فقير ولا غني، سأجعله أسعد إنسان في العالم، سأبقى تحت رجليه ما حييت، أحبه وأحافظ عليه، أرى فيه رجلا مثاليا، سينقذني وينقذ إمي من الفقر... خاب ظنها.

هكذا إستسلمت ياسمين طالبة كلية الآداب الفرقة الثالثة، إلى الذئب أدهم البياع، دعاها إلى فسحة بسيارته على ضفاف نهر النيل، ثم إلى سهرة في كازينو الهرم، ظهرت معه في كل مكان وكأنها خطيبته، عرف شباب الجامعة علاقتها بأدهم ... تباهي بقدرته على الفوز بأى فتاة، فهو يحب أن يلقب من زملائه بأنه فلانتينو الجامعة.

شيئا فشيئا، بدأ أدهم كعادته يتهرب منها، فقد إنتهى دورها، عرف الطلاب أن ياسمين كتب إسمها في قائمة الضحايا، واكتشفت الخدعة، لم تعد ترفع عينها في وجه شباب وبنات الجامعة، أصحبت سيرتها على لسان طلاب الجامعة.

شكل موقف أدهم صدمة قوية لياسمين، كسر بداخلها حصنها القوي التى طالما تتفاخرت بيه... سمعتها بين الناس، لم تستطع أن تقاوم نظرات الشباب بقصد أو بغير قصد.

حادثت نفسها كثيرا: ماذا تفعل؟... لن أحتمل أن أستمر في هذه الجامعة، مستقبلي يضيع، فقدت القدرة على المذاكرة.

ياسمين على درجة من الجمال، تمتلك قواما جميلا، وعينان زرقاوين ورثتهما عن أمها، وشعر طويل كثيرا ما تباهت به بين زملائها، خدود وردية وصوت عذب.

وهى ضحية ظروف الفقر، إنهار بيت أسرتها في زلزال عام ١٩٩٢، مات

والدها وأخيها عوض في الزلزال، نجت هى وأمها بأعجوبة. تعاطف معها الناس، بنوا لأمها كشك تبيع فيه قليل من الحلويات والأدوات المكتبية بجانب كافتريا الشباب على الميدان.

كثيرا ما نامت هي وإمها في الشتاء القارس والحر الشديد في الكشك، رفضت أمها المساعدات والإغراءات فهى مازالت صغيرة، صبرت، تألمت، جاعت، كثيرا ما كانت تحادث نفسها: لماذا لم يختارني الموت مع أخي وأبي؟

تعود وتذكر أمها التى كانت لها جدارا منيعا من ذئاب البشر، فتحمد الله على كل حال، عاشت أيامًا صعبة في مجتمع لايرحم.

ذات يوم دخلت الجامعة، لاحظت أدهم يقترب من فريسة جديدة... إنها "رشا صابر" جميلة الجامعة، طالبة الفرقة الثالثة كلية التربية. معروفه بطالبة الإمتياز والأخلاق.

أرادت أن تصدمه وتنقذ رشا من الوقوع في أحضان الوغد. هى جارتها وتعرفها جيدا، ظروفها قريبة إلى حد ما من ظروف ياسمين.

رشا حاول معها شباب كثيرين، حتى بعض المعيدين، لم تستجب لأحد، كانت تعرف أن غرور أدهم سينكسر أمام أقدام رشا، لكنها أرادت ان تلقنه درسا بكلمات قاسية، لعله يهدئ نوعا ما من غضبها، أو يشفي بعض غلها.

إقترب أدهم منها، محاولا ان يلقى عليها بعض كلمات المدح فتجاهلته. أقترب أكثر فحذرته:

- احترم نفسك.

جري الغرور في عروق أدهم قائلا: ألا تعرفي انا مين؟

- أكيد حيوان. شوف لك لعبة تانية يا شاطر.

- الأيام بيننا... في ليلة أقل جمالا من هذه الليلة ستأتين إلى خيمتى- حاول أن يضحكها، فردت: سافل.

ياسمين تراقب الموقف، إقتربت من أدهم، أرادت أن تقتله بكلماتها، لديها

ثأر معه. بعد أن تركها وأذاع سرها في الكلية.

- ياسمين!

- مازلت تعاكس بنات الناس... مازلت تمارس هوايتك الحقيرة؟

- ماذا بك يا ياسمين؟

- ليس بي شيئا ولكن قبل أن تعاكس بنات الناس، لازم تحافظ شويا على أختك هدي.

- ما بها هدي تكلمي؟

- سيرتها على كل لسان وكل يوم في سيارة شكل.

- أنت تكذبين، هدى ليست مثلك؟

- طيب إيه رايك في الصورة دي.

- ماهذا وكيف هذا؟

- ربنا منتقم جبار... زي ما بتذل بنات الناس ربنا أراد يذلك.

حاول أدهم أن يلتقط الصورة من ياسمين، لكنها أخذتها بسرعة وأخفتها في جيب بلوزتها، وحذرته من الإقتراب منها.

غليان في دم أدهم ثم انصرف مسرعًا.

***

(٨)

على مائدة تضم أشهى المأكولات، تراقب هدي الباب الخارجي، تنتظر بين لحظة وأخرى دخول أدهم.

أمها لاحظت توترها:

- ما بك يا هدي متوترة ليه؟

- النتيجه قربت.

- لا تقلقى والدك أوصى عليك في الكلية... عنده مين غير هدي يهتم بيها.

- ربنا يخليكم لينا.

فجاة باب يفتح بقوة... أدركت هدي أن سامح فضح علاقتها مع فادي.

هدى تستبقه: أهلا أدهم.

أدهم يهجم عليها ويمسكها بقوة من شعرها.

صياح... خوف... بكاء

الأب ينزل مسرعا. ماذا ماذا يا إبني؟

- إسال بنتك الوسخة سيرتها بقت على كل لسان.

- واصل: ماذا!

- هدى: لا أعرف يا بابا ماذا يقول؟

- أدهم: بنتك بتركب سيارات مع الشباب ودايرة على حل شعرها، لازم تتربي وتمنع من الخروج يا بابا.

- هدى: إيه المشكلة لما زميل لى في الكلية عرض عليا أن يوصلنى ولم أكن لوحدي كانت معى زملائي... أنت فاكر كل الناس زيك؟

- أدهم: يا سلام! أنت متصوره لوحدك في السيارة معاه يا جزمة.

- هدى: سامح هذا كذاب هو الذى كان يعاكسني وعندما صددته توعددني بأن يقول لك كذبا.

- أدهم: ما دخل سامح... هل يعرف أيضا، إعترفت بلسانك يا جزمة، الموضوع ليس فيه سامح أصلا.

صمتت هدى بعد تلقت صفعة على وجهها من أخيها... أخذتها أمها من أمامه وقالت لها بعصبية: يا خسارة تربيتي فيكي، أنت هتشليني، هتفضحيني على أخر العمر، ليه كدا؟... تعملى ليه فيا كدا؟... أنا عملت إيه فيكي؟... حرام عليكي يا شيخة؟... ربنا ينتقم منك.

تمسك الأم رأسها، أثاث البيت يتمايل أمام عينها، كادت تسقط على الأرض، فجرى عليها أدهم محاولا أن يجلسها على الكرسي. وحاولت هدى تقترب من والدتها فرفضت، وقالت أبعدي عني أنت السبب في موتي.

وقف الأب مذهولا، ولم يتحدث.

الأم: شفت هذه آخر تربيتك فيهم، ماسمعتش كلامي، واحدة صايعة والتاني مستهتر... إستلم بقى، سمعتنا بقت في الطين، زمان البلد كلها بتكلم عن بنتك يا واصل.

على كرسي متحرك هزاز دخل واصل في تفكير عميق. تذكر كيف كان يدللها ويحبها، كيف وفر لها كل سبل الراحة... من أين جاء الخلل... أمها سيدة فاضلة، فمن أين الخلل؟

وبعد تفكير عميق، أدرك واصل أن هدى أصبحت عبئا عليه قد تدمر كل شىء بنيته في حياته... وقال في نفسه:

- منْ بعد ذلك يصدقني ويتعامل معي، وهو يعرف أنني لم أحسن تربية إبنتي. لا بد من زواجها بسرعة... ولكن من يتزوجها؟... أخشي إذا زوجتها شابًا من عائلة كبيرة، تعود لي بعد مطلقة بعد أسابيع. هدى تحتاج إلى

من يحبها ويستحملها ولا يجرء على أذيتها... لا بد من شخص من أسرة متوسطة أو مستورة على كل حال.

على الجانب الآخر من الغرفة، وقفت الأم تفكر بعمق:

- هل يسارع واصل بزواجها؟... هل تكون هدى صفقة من صفقاته القذرة؟... لا، إني أعرف واصل جيدا، أنه يحبها ولن يبيعها لأى شخص، سيحسن الإختيار أكيد.

وماذا عن أدهم؟

أيام وستعلن النتيجة، لعله ينجح وندخله الأكاديمية، وبعدها يتزوج.

- يارب... اكتب لهما كل خير.

جلست هدى في غرفتها تفكر، لا بد أن الأيام القادمة ستكون صعبة عليها، فابي سيغير طريقة معاملته معي، وكذلك أدهم سيستمر في إلقاء الكلمات التي تغضبني ليل نهار، وماما لن تكلمني فترة كبيرة، لا أطيق هذا أبدا، كيف اجلس في البيت طوال الأيام القادمة وطوال فترة الاجازة؟

كاد أن يصدقني بابا، لولا أننى تسرعت وذكرت سامح، إنه لم يخبر أدهم بشىء، ياله من شخص شهم... سأحاول أن أتصل بفادي لكي يأتي يطلب يدي من أبي... إنه يحبني ولا يقدر على فراقي، يسمعني أحلى كلمات العشق والهوي، أشعر معه أنني أجمل النساء. سأختلس الوقت لأكلمه اليوم، بعدها لن يكون هناك مشكلة ويضع الجميع لسانه في فمه خصوصا أدهم. ياله من جبان يريد أن يعيش وحده في هذا العالم، وكأنه خلق فيه لوحده، مغرور.

حاولت هدى أن تتصل بفادى على هاتفه المحمول، لكنه ظل مغلقًا... فشلت فاتصلت على التليفون الأرضي في بيته.

- ألو

- مساء الخير يا طنط... ممكن أكلم فادي؟

- أنت من أصدقائه؟

- نعم يا طنط.

- طيب انت مرحتيش ليه الحفلة؟

- حفلة إيه؟

- حفلة خطوبة فادى الليلة.

- فادى خطب؟... وأنت مارحتيش ليه الحفلة يا طنط؟

- أنا الحركة صعبة عليا أوى، البركة فيكم يا بنتي.

- أنت مش عارفه قاعة الفرح فين؟

أغلقت السماعة دون أن ترد.

خطب فادى الكلب، كلهم كلاب، كلهم من نوعية أدهم أخي، كيف كان يتظاهر بالحب وهو في أحضاني؟ وربما تظاهر أنه يحبني، ليحصل على بعض المزايا... لن أثق في أحد، سأعيش لحياتي فقط، سأجعل الجميع يركع تحت أقدامي، ولن انحني يوما لأحد.

***

(٩)

ينساب صوت وديع الصافي من تلفاز قديم يشدو (دار يا دار... راحوا فين حبايب الدار)، مختلطا بصوت معالق من حديد تضرب صينة الشاى الذي يحملها رجل كهل وفي يده الأخرى سيجارة متنقلة بين الفم واليد، إختلطت الموسيقي الشرقية بصوت معالق الشاى على الصينة، كما أختلط الماء بالصرف الصحي.

كراسي قديمة تقترب من لحظة التفكك والإنهيار، مروحة سقف تتحرك كعجوز في سن السبعين .

قهوة زعتر، المطلة على ميدان المدينة، قديمة قدم الفلاح المصري، زبائنها من أصحاب المعاشات أو الذين إقتربوا من سن التقاعد، الشباب يسمونها قهوة البرستاتا وليس قهوة زعتر.

مرض البرستاتا غالبا ما يصيب كبار السن من الرجال، وغالبا ما يصبح الرجل عاجزا جنسيا، فكلما كان المرض وجد العجز. لكن كبار السن كانوا لايبالون بما يقوله الشباب، فهذه هي سنة الحياة، كأس كل الناس شاربه.

في ركن القهوة الأيمن بجوار الشباك الواسع يجلس الحاج علم الدين، صابر، يسري، أستاذ ثقافة كما يطلقون عليه، إبراهيم وحيد هو إسمه الحقيقي، عمل في دار الكتب، وقرأ الكثير من الكتب بحكم عمله، لذلك يطلقون عليه أستاذ ثقافة، يسألون صابر عن أخيه كابتن توفيق فلم يأتي اليوم كعادته؟

- ربما يفعل بعض الأمور ليساعد زوجته المريضة.

- صابر: لماذا يطلقون عليك الحاج يسري رغم أنك لم تحج؟

- علم الدين: أنا اجاوبك، لأن الحاج في البيت كناية ان الرجل كبر ولم يستطع أن يقوم بوجباته الزوجيه، فيجلس يطالع الأخبار ويشاهد التلفاز، يجلس صامتا لا يتحرك، لا يتحرك أبدا فهمت فهو بركة.

يضحك الجميع.

- يسري: جزاك الله خيرًا، أنت بتضحكنا كتيرا.

- علم الدين: الله يرحم آبائكم، لو كانو عارفين إن أنتم هتطلعوا كدا لامؤاخذه، كان عدم الخلفة لهم أفضل.

استاذ ثقافة: نعم، نحن ليس مثل أبائنا، الدراما ساعدت على إسقاط شخصية هذا الجيل والأجيال القادمة، منذ أسقط نجيب محفوظ في روايتاته الثلاثية الشهيرة شخصية سي السيد أحمد عبد الجواد، والتي كان لها تأثير كبير على المجتمع، فقد أرداه قتيلا بعدما كشف ولعه وحبه للنساء والسهر، وهو الرجل ذو الهيبة والشكيمة وكلمة الفصل عنده وهيبة الرجل في تراجع.

- صابر: نعم، كان ممكن معالجة الخلل في الشخصية، وعدم إلقاء الضوء عليها بهذا الشكل، فلا يوجد إنسان كامل، الكمال لله عز وجل. هو وحده يمتلك الكمال سبحانه.

- أستاذ ثقافة: كان السيد أحمد عبد الجواد يمثل الشخصية المصرية تماما في ذلك العصر، بسقوطه سقط معه أخلاقيات كبيرة كان يمتلكها ويحافظ عليها، سقطت الأسرة المصرية كلها وتفككت قل إحترام الأبناء للأباء، وإحترام الأخ لأخيه، فكثيرا ما يتشاجر الأخوان أمام الأب وكأنه غير موجود...

قل أحترام الزوجه لزوجها وكثرت الخيانة بين الزوجين، تعالت أصوات النساء بغير حق في أحيانا كثيرة.

قل إحترام الجار لجيرانه، وقل إحترام الشاب لإبنة الجيران بعد أن كان واجب عليه أن يحميها من أى خطر يحدق بها، أصبح ينتظر الفرصة.

- صابر: نعم، قل الحياء وتبدلت القيم إلى الأسوأ، بسبب فقدان المثل الأعلى والقدوة في المجتمع، حتى على مستوى السياسة، النظام لا يسمح لأحد أن يظهر إعلاميا، ويصبح مثل يحتذى به في مجال معين، الكل عليه أن يسبح بحمد الرئيس، وإلا كان التشويه والهجوم وربما السجن والإعتقال.

- علم الدين: النكسة الكبرى أنه حين أسقط نجيب محفوظ شخصية

السيد أحمد عبد الجواد الذى كان يمثل القدوة والمثل الأعلى للأبناء، ترك المجتمع بدون قدوة ومثل أعلى، تركهم دون توجه أو قيادة أو هدف يسعون إليه، لذلك أصبح من السهل وصول بعض الفسدة إلى سدة الحكم ليكون منظومة الفساد على أسس علمية يصعب إختراقها.

- أستاذ ثقافة: إنهيار الأخلاق داخل البيت أدت لإنهيار المجتمع كله، فجتمع بلا أخلاق كبيت بلا أعمدة تحميه، لن يمكث أى مجتمع طويلا دون ترسيخ قيم الأخلاق والمبادى لدى العامة، لقد أصبح الفساد قوة نووية يصعب مواجهتها ولكنها ليست مستحيلة. إذا توافرت الإرادة والرغبة القوية في الإصلاح.

- علم الدين: الجو الأيام دى حر جدا، فين أيام زمان لم تكن تصل درجات الحرارة بهذا الشكل.

- صابر: إمتى بقى تحن علينا وتجيب لنا مروحة جديدة يا زعتر؟

- زعتر: من فين، ما أنتم عارفين البير وغطاه.

- علم الدين: يا زعتر، أعرف البير ولكني لا أعرف غطاه، لا شك أنك عاملهم على قلبك قد كدا، فك شويا من الكيس، دي الدنيا فانية وماحدش واخد منها حاجة.

- زعتر: الكيس بقي مخروم يا أستاذ علم، الغلاء خرم الكيس، كلما إدخرت شيئا للزمن، سقط منه، ما أنت عارف الحالة بقت عاملة إزاى.

- يسري: قل لي يا زعتر ماسبب تسميتك بهذا الإسم؟

- أبي يرجمه الله، كان يحب النساء كثيرا، تعرف على فتاة سورية جميلة، وكان يختلسان الوقت ويفطران سويا زعتر ولبنة سورية... أراد أبي أن يقبلها فإقترح عليها أن تعطيه قطعة صغيرة جدا من الخبز والزعتر بفمها وليس بيدها، كنوع من الدلع، فوافقت على إستحياء، وعندما إقتربت الشفتان، إلتقط قطعة الخبز وبلعها بخفة الغزال، وإنقض علي شفتيها كما ينقض النسر على الفريسة، أظهرت تمنعها في بادىء الأمر،

بعدها ذابت كما يذوب السكر في الشاى.

- علم الدين: ساخرا، السكر في الشاى، أكيد طبعا ما أنت قهوجي، كمل يا معلم زعتر.

- سافرت السورية وغابت كثيرا، وبقي أبى يحلم بيها ويحلم بقطعة الزعتر، وذات مرة دخلت إمى رحمة الله عليها، فوجدته يحلم بها، ويقول لها: إعطيني زعتر، إعطيني زعتر، بحبك مووت، فأيقظته فنظر أبى في وجه إمي، فوجده تحول كقطار يريد أن يدهسه، من أين جاء هذا القطار؟... عرف أنه لا يحلم وأن صوت القطار أيقظه من الحلم.

- سألته أمى بعصبية شديدة: مع من كنت تحلم؟

كذب أبي عليها، وأكد لها أنه لا يحلم إلا بها، فقد كنت أحلم أنك أصبحت حامل، وحملتي في ولد إسمه زعتر، لذلك كنت أقول لكي في الحلم أعطيني زعتر، أعطيني زعتر، أريدأن أقبله.

صادفت الظروف، أن إمي كانت عائدة من عند الدكتور، وأخبرها أنها حامل، فأخبرته أن هذه بشرى تحققت من الله، لقد تحققت رؤياك، إبننا زعتر على الأبواب، صدم أبي عندما علم أنها حامل، وأن الكذب لا ينفع أبدا، وهكذا فلت أبى بفعلته ودفعت أنا الثمن، أخطاء الأباء يتحملها الأبناء.

ضحك الجميع...

- صابر: أبوك كان خلبوص، أكيد كان بيشجع الوحدة العربية.

دخل رجل لا يكاد أن يرى رجليه، من ضخامة إنتشار كرشه في محيط القهوة، ومعه صميت وجبنه وسندوتشات من المخ والكبده والحواوشي، تركيبة أكل غريبة، لكن الإستغراب ينتهي عندما تعرف أنها إتاوة على اصحاب المحلات والبائعات، مثل أم عوض وغيرها من أصحاب المخبز والبقاله ومحل الكباب.

الأمين عشماوي- كما يطلقون عليه- يرحب بهذا الإسم رغم أنه ليس إسمه الحقيقي، إسم يدل على الخوف والرهبة.

كل يوم ياخذ ما لذ وطاب مجانا، مقابل توفير لهم الحماية والأمن، هكذا يعتقد.

ذات مرة رفض صاحب محل الكباب، المعلم إسماعيل رأفت أن يعطيه الإفطار، فأجأه بقوله: أنا لم آتي لأخذ منك شيء، حد الله بيني وبين الحرام بالقوة، وإنصرف.

وفي اليوم الثاني، أخذ المعلم إسماعيل إلى قسم الشرطة بحجة أن الباشا يطلبه، وعند باب القسم أدرك أن عشماوي دبر له أمرًا ما، فالأمور تتجه إلى التصعيد، فبينه وبين القسم خطوات، فأخرج له مائة جنيه، وإعتذر له، ورمي بالعيب على زوجته، فهي تعباه نفسيا.

أخذ الأمين المائة جنيه، وإقترح عليه أن يطلق مراته، طالما هتحرمنا من الفطار عندك، وتركه يذهب.

ربما لو كان المعلم إسماعيل واصل التحدي إلى أخر المشوار، لأنصفه الظابط، لكنه إشترى السلامة بالإتاوة، والأمن بالمهانة والإستسلام... فالأجواء كانت مليئة بفيروسات الظلم، محاطة بحاجز الخوف.

ومع مرورالزمن، أصبحت المسافة بين الحرية وحاجز الخوف تقترب أكثر وأكثر. سيأتى الوقت ليكسر المصريون هذا الحاجز، حتى وإن طال الزمن.

***

(١٠)

أمام لوحة أسماء الناجحين بالكلية، وقفت رشا تبحث عن اسم حازم توفيق وقلبها يرتجف قلقا، حازم ناجح بتقدير ممتاز.

دموع فرح تنهمر، تنظر يمينا وشمالا، تبحث عنه لعله جاء ليعرف نتيجته، أين هو؟

أين هو حبيبي؟... أريد أن أكون أول من يبشره، لم تكن تعرف أن حبيبها يطالع أسماء الناجحين في الفرقة الثالثة بكلية التربية ليكون أيضا أول من يبشرها، وكأن القلوب والعقول تتلاقى وتفكر سويا.

ثمة شيئا ما يعكر الاجواء، أدهم يراقب رشا، فكر بغرور، ربما جائت لتبحث عنه، لعلها ندمت بعد أن عرفت من أنا. ربما راجعت نفسها أو جائت لتعرف نتيجة حازم أبن عمها.

- أدهم: صباح الخير.

- رشا: لم ترد.

- إن كنت جئت لتعرفي نتيجتي فأنا نجحت، وأشكرك على مشاعرك الجميلة، وإن كنت جئت لتعرفي نتيجة حازم، فهو من الأوائل كالعادة، نجح بتقدير ممتاز.

- أنت مغرور ومتكبر، وسخافاتك لا تنتهي.

أدهم لم يتمالك نفسه، كيف لهذه الحقيرة أن ترفضني أو تعاملني كهذا؟... لن أتركها لن أتركها.

إنتهى اللقاء وانصرفت رشا من أمام أدهم ياله من شخص كئيب وفاشل، وددت لو أخبر حازم بما يفعله هذا الندل معي، لكني لا أريد ان أسبب له المشاكل، خاصة أن أدهم له نفوذ، وربما يضره، هكذا حادثت رشا نفسها، ثم ذهبت لتعرف نتيجتها وجاء حازم ليعرف نتيجته فكان اللقاء.

- حازم: رشا ماذا جاء بك هنا؟

- وودت أن أكون أول من يبشرك بالنجاح. مبروك نجحت بتقدير ممتاز.

- ضحك... وأنت أيضا ألف مبروك يا رشا نجحت بنفس التقدير.

- أنت كنت في الكلية عندي؟

- نعم... ربنا يخليك ليا يا حازم.

- طيب إيه.

- إيه إيه يا رشا.

- ألم يحن الوقت بعد؟

- انت تعرفين انك لست فقط إبنة عمي.

- أمال إيه.

- يادي إيه اللي أنت ماسكة فيها دي... لا اريد ان أربطك معي يا رشا، أمامي حلم أبي وحلم أمي، قد صبرا بما فيه الكفاية.

إننا مصابون بداء الفقر، وهو مرض خبيث أكثر خبثا من السرطان، السرطان ربما يتم إستئصاله، أما هذا فيصعب إستئصاله، كل يوم ينتشر الفقر أكثر وأكثر، والدولة لا ترحم أحدا، ولا أحد يرحم أحدا.

هل تعلمي إن بيتنا الآن ليس فيه ما يكمل قوت ثلاثه أيام؟... ورغم ذلك أمي لم تشعرني يوما بهذا، كثيرا ما كنت أراها تتحمل ألم التعب، حتى لا تذهب للطبيب. وتحملت صعوبة الحياة وقسوتها من أجل أن تدخر قوت أيام قادمة.

أننا نسكن في بيت يذكرننا بالموت كل لحظة، نتظر أن يعلن لنا النهاية، أو نسمع فيه صافرة الحكم بإنتهاء المباراة، نرقد على إثاث مفكك، وخدمات متدنية، عندما تدخل اللحمة البيت، تسمعين أجمل النكت السخرية على دخولها، نحتفل بها كما نحتفل بالعيد.

وأبي، هذا الجبل الذي صرف كل ما لديه على تدريبي وتعليمي وقضاء حاجاتي. ومن أجل أن أحقق حلمه، وحلم أمي. أرهقه الزمن من جراء ذلك، كلما نظرت إلى وجهك وجدته وجه رجل تعدي المائة عاما وهو ما يزال تحت الستين.

- رشا تبكي. لكنها أرادت أن تبث الأمل في نفسيهما: الحمد الله يا حازم تخرجت، وستحصل على بطولة الجمهورية إن شاء الله، وتدخل الاكاديمية بعدها تكون ظابط، وتعلق الدبورة يا باشا. وتجمع الفراولة.

- الفراولة!

- أيوا الفلوس إسمها الأيام دي الفراولة.

- ضحك، ولماذا الفراولة يا رشا؟

- لأنها دائما غير موجودة وغالية.

- ربما تكون صعبة علينا أكلها.

- تفائل خير يا حبيبي.

أرادت رشا أن تنطقها لعله يعترف بحبه لها. فلقد خططت لهذا اليوم من زمن، هكذا تخطط النساء.

- أنت لست حبيبتي.

توقفت رشا عن السير، وظهر عليها الدهشة وبعض الأرتباك.

- حازم: انت حلم عمري ورحي وكياني ووجودي ودمى.

- رشا: اخير أعترفت، أخيرا نطقت... تأخرت كثيرا يا حبيبي .

اعترف العاشقان بحبها للبعض، وكأن شيئا ما سري في دمائهما، إحمرت الخدود، وإرتوت العروق بدماء جديدة، وغطي القلب فرحة عارمة، وإرتسمت على الشفاء إبتسامة وردية. ولسان حالها يغني طربًا:

فرحت بيك.

فرحت بيك لما عينيك عشقت عينيا.

فرحت بيك لما إيدك لمست إيديا.

لما شوقك رسم في القلب طيفك.

لما حبك حرك كل اللى فيا.

آه يا حبيبي.

آه يا حبيبي من زمان وأنا مستنيا حبك.

آه يا حبيبي من زمان وأنا بحلم بقلبك.

من اليوم هارسم في القلب صورتك.

من اليوم حبيبي الحب إبتدي.

من اليوم أنت كل العمر اللى فات واللى بدي.

فرحت بيك لما عنيك عشقت عينيا.

فرحت بيك لما إيديك لمست إيديا.

خلاص أنا بين إيديك مملكة متوجة.

انصرف العاشقان، وتأخر حازم قليلا لكي يطمئن على أصدقائه، أراد أن يعرف نتائجهم ويباركهم لهم.

وأمام جدول الاسماء، مينا حصل على تقدير جيد جدا، ونادر جيد وسامح مقبول .

في الطريق قابلت رشا فتاة ترتدي خمارا: ياسمين!

لبست يا سمين الخمار، وإنضمت إلى جماعة المسجد، يصلون ويراجعون الأحاديث النبوية، أخذت تتعلم منهم الصبر على أمور الدنيا، كل شيء بقضاء الله وقدره، لكنهم أغفلو أن العمل والإجتهاد أولا، ثم الدعاء، ثم تقبل قضاء الله وقدره بصدر رحب أخيرا.

كانت ياسمين تعرف من داخلها أنها ليست متدنية وملتزمة الإلتزام الكلى، بل فتاة عادية مثل كل البنات، ربما محاولة لنسيان أدهم وموقفه، لعلها تسطيع أن تسكت السنة الطلبة، عندما يروها متدينة.

دخلت ياسمين الغرفة والصالة التي تعيش فيها مع والدتها أم عوض، جلست أمام التلفاز القديم تطالع المسلسلات، لا تشاهد القنوات الدينية إلا للضرورة مثل أية فتاة عادية، تفكر متى تستطيع أن تحمل العبء عن أمها وتعوضها عن شبابها التى أفنته في تربيتها، فقد رفضت الزواج وضحت بشبابها من أجلها، تقدم لها رجال كثر، فأبت...

***

(١١)

على جانب الميدان... شباب يتطلعون إلى شاشة تلفزيونية كبيرة، ودخان السجائر والشيشة يتصاعد من المكان، وصوت ضوضاء للعبة الطاولة والدومينو، صياح، جرسون يحمل صينية بها أكواب عصير، شباب أغلقت عقولها وسلمت مشاعرها للتلفاز، فقد ملوا من التفكير.

مقاعد منتشرة في كل مكان داخل المقهى وأمامه وعلى جانبيه. وعلى الجانب الآخر يجلس شباب يراودهم الأمل أن يفعلوا شيئا. لم يصطدموا بالواقع بعد، أحلامهم بريئة لم تتلوث، الضحكة صافية، الأمل حي لم يقتل، عزيمتهم قوية، عازمون على النجاح والتغيير.

- حازم: ماذا ستفعل يا مينا بعد التخرج؟

- مينا: ليس لي خدمة عسكرية لأنني وحيد أبي وأمي. ولكني أحب الحياة العسكرية وأعشقها ولهذا سأتقدم إلى الأكاديمية، فأنا حاصل على بطولة الإسكندرية مرتين، ربما تشفع لي، إلى جانب أنني لست من الإخوان... ضحك الشباب... وأنت ماذا تخطط يا حازم؟

- حازم: أنا مثلك سأتقدم إلى بطولة الجمهورية في الجودو، فهذا حلم والدي منذ الصغر وصبر كثيرا وتحمل قسوة الأيام، حتى يرى هذا الحلم بعينه، وسأتقدم إلى أكاديمية الشرطة، وهذا ايضا حلم ماما.

- سامح لحازم: وأين حلمك أنت؟

صمت حازم وكأن سامح ألقى بالسهم في قلبه... فغير مينا الموضوع بسرعة فهو يعرف سر حازم الذي لا يعرفه أحد، قائلا: الحلم حلم الآباء وليس حلم الأبناء، فهم الذين يحلمون نيابة عنا، ونحن نضطر لإرضائهم فقط، وهذا خطأ.

- نادر: أنا سأفتح معرض سيارات مستعملة، وبجواره ورشة لتغير الزيوت، فعندنا محلات أسفل البيت لم تستغل بعد. ولدى إحساس بأنني سأنجح في هذه البلد، تعبنا من الغربة ولن أترك أبى وأمى وقد تقدم بهما العمر، إنها أنانية مني لو فعلت ذلك.

- سامح: لماذا لا تفتح كافتريا أفضل يا نادر في محلات والدك؟

- نادر: والدي لا يوافق على هذا، كما أن الكافتريا عمل ضار، ولا يكبر مع مرور الأيام، أنا أتطلع أن يكبر المشروع، لا أن يبقى كافتريا مدي الحياة.

- سامح: في القريب العاجل سنودعك على سلم الطائرة طالما ظل هذا تفكيرك.

- نادر: البلد دي محتاجة تنمية بجهود شبابها.

- حازم: التنمية تحتاج لعدل، والعدل يحتاج إرادة، والإرادة تحتاج لضمير، والضمير غائب، وربما مات.

- مينا: لا تحبطه ياحازم... قل لنا ماذا ستفعل ياسامح؟... هل ستشتري مطار لتاجره للطيارات أم ماذا؟

- سامح: غدا ستسمع عني في مطار القاهرة، فلدي واسطة تعينني فيه.

- حازم: طلبات التوظيف مشكلة كبيرة، الكل يريد أن يحصل على وظيفة لإرتفاع نسبة البطالة لدى الشباب، تلك القنبلة الموقوته التى تكاد تنفجر، فهناك خلل بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل الذي يطلب عمالا وفنيين ومهندسين، فخريج الإعلام إذا أتيح له العمل بمصنع للزيوت والصابون لا يمانع، وخريج السياسة والإقتصاد لا يمانع أن يعمل مدرسا بالقطعة بأي راتب، وخريج الحقوق لا يمانع أن يوظف فني في مصنع للسكر، المهم أن يحصل على الوظيفة، وتبدأ معاناته مع الراتب الذي لا يكفي بعد ذلك، أما الوظائف العليا والجهات التى تعطي بعض المزايا فهي مقصورة فقط على أبناء العائلات ومن لديه واسطة، أو يستطيع شراء الوظيفة.

- نادر: نعم عندما تتحدث مع سائق تاكسي تجده دكتور أو مهندس أو محاسب، الوضع يزداد كل يوم سوءً والمسؤولون مشغولون ولا يبالون، فقط مهتمون بجمع المال والحفاظ على الكراسي.

امتلأت الميادين بالمطالب الفئوية للموظيف أحيانا والهيئات أحيانا أخرى وحملة الماجستير والدكتوراه، ربما كان من الصعب أن تجد ميدانا فارغا لمدة

أسبوعين، وشهدت نقابة الصحفيين صراعا دام لسنوات، فدائما سلالمها ممتلئة لكثرة الأعتصامات أمام النقابة.

- سامح: لا أحد يتراجع، لم تدرك الحكومة بعد أن الأمر وصل إلى لقمة العيش التى اصبحت صعبة جدا على أصحاب الدخول البسيطة، إنخفاض القيمة الشرائية للجنيه أثر كثيرا على محدود الدخل ، فالجنيه في الماضى كان له قيمة ربما يستطيع العامل أن يكفيه وجبه صباحا أو مساءا كفرد، أما الآن لم يعد يساوي شيئا وكل يوم هو في إنحدار أكثر وأكثر، إن ألسنة اللهب تنتشر بسرعة وهم لا يعلمون.

فجأة ينتبه الحاضرون إلى صوت إمراة تصيح:

- حسبي الله ونعم الوكيل، حرام عليكم، أنتم مابتخافوش ربنا، عايشين على الحرام على طول، ما فيش مصيبة تاخكم بعيد عننا، حسب الله ونعم الوكيل.

جري الشباب من على الكافتريا: ما لك يا أم عوض؟

- أم عوض: الفساد والرشوة دبحوني يا حازم يا إبني. كل يوم يمر عليا موظف يهددني بأن الكشك مخالف وسيزيله فأضطر أن أدفع لهم.

- زعتر: حاولى تراضيهم، كل اسبوع يمر عليا أنا كمان واحد شكل ويطلب فلوس، وبحاول أراضيهم وخلاص، وهي ماشية على كدا، ربنا ينتقم منهم.

- أم عوض: أجيب من فين يا معلم زعتر أنت شايف الحال. أنا ما دفعتش حتى الآن مصاريف الكلية لياسمين. أنا تعبت والله يا ناس.

- زعتر: أذكري الله يا أم عوض بكرة ربنا هيفرجها.

نظر الشباب إلى نادر ولسان حالهم يقول له، مشروعك محكوم عليه بالفشل، وعادوا للكافتريا. أسمعنا شيء يا مطرب الجيل:

يا مصري ياللي بكره جاى.

نفسي تيجي في يوم أمان.

نفسي بكرة ما يكون ظلام.

نفسي حلمي يكون حقيقي.

فلاحة بالحب تروي.

ترسم على الدنيا نورها.

تزرع بالورد بلدي.

تمسح في يوم دموعنا.

تمحي في يوم جراحنا.

يا مصرى ياللي بكرة جاى.

نفسي تيجي في يوم أمان.

مسلم على كنيسة يحمي.

قبطي على الجبهة يفدي.

مصر هيا حلم العمر كله.

مصر هيا بكرة ولحظة حلوة جاية.

يا مصرى باللي بكرة جاى. نفسي تيجي في يوم أمان.

***

(١٢)

على يد والدها الحاج صابر وضعت رشا قبلة النجاح، أخبرته بنجاحها بتقدير ممتاز، وبنجاح حازم إبن عمها، وطلبت من والدها أن نحضر تورتة صغيرة نحتفل بها، عندما يعود حازم إلى البيت، سرعان مالبى صابر طلبها.

طلبت رشا من وليد أن يحضر معها الإحتفال فرفض مدعيا حرمانيته، وذكرها أنها أجنبية الآن عن حازم، ولولا أبي لمنعتك بالقوة، كل هذه الأمور لا ترضي الله أبدا، فالإختلاط حرام شرعا.

حاولت رشا أن تقنعه بأنه ليس حفل على شاطىء العراة، بل دعوى لتناول كيكة النجاح في حضور أبي وعمي وطنط منى، لكنه أصر على عدم الحضور، وأنه لا يرضى لأخته أن يراها ابن عمه، فهو أجنبيا عنها.

أمام شقة حازم، وقفت رشا تدق الباب كدقات فنان على طبلة، وسمع كابتن توفيق طرقات موسيقية على الباب فأدرك أنها الشقية رشا التي يحبون شقاوتها.

- رشا: جئت إليكم يا عمي ويا زوجة عمي الحبيبة بخبر جميل.

- قولى الآن بسرعة ، فأيام الفرح معدودة هنا.

- نجح حازم بتقدير ممتاز وحصل على البكالريوس.

سالت الدموع على وجه منى والدة حازم، واحتضنت رشا التي كانت تعتبرها بنتها... سيما أن القدر حرمها من أمها وهى صغيرة.

- توفيق: أخبار التقدير هذا العام إيه يا عفريته؟

- نجحت بتقدير ممتاز.

قبلها عمها توفيق ودعا لها بدوام التوفيق. وبعدها بدقائق دخل الحاج صابر بتورتة صغيرة إشتراها على عجل، فصابر كان أفضل حالا من أخيه توفيق بعد أن ورث القليل عن زوجته رحمها الله والدة رشا.

وضعت رشا التورتة على منضدة خشبية قديمة مغطاة بمفرش من البلاستيك السميك، في انتظار قدوم حبيبها.

- منى: أين وليد لماذا لم يأت ليحضر معنا الحفل؟

- رشا: وليد رفض أن يأتي مدعيا أن هذا حرام شرعا.

لم تقتنع منى بما سمعته، ذهبت إلى وليد لتحضره. فوجدت باب الشقة مفتوحا، دقت الباب للتنبيه أنها قادمة، ودخلت على وليد الغرفة.

- إزيك يا وليد يا إبني.

- الله يسلمك يا طنط منى.

- أنا زعلانه منك.

- إسمعي يا طنط منى، أنا لا أفعل الحرام أبدًا.

- وأى حرام يا إبني في هذا، مجرد كأس من الشاى، وقطعة تورته صغيرة. هل أكل التورتة حرام يا وليد؟

- لا الإختلاط هو اللى حرام، حازم أجنبيا عن رشا.

- إذن أنا أجنبية عنك، فلماذا تسمح لى بالدخول عليك؟

سكت وليد وكأن صدمة أصابته. فزوجة عمه هى التي ربته صغيرا، وكانت تساعده أحيانا في الإستحمام وهو طفل، تلاعبه وتضحك معه أحيانا، وله معها ذكريات جميلة، هو يحبها لم تبخل عليه يوما من حنانها في شىء.

أمام إصرار زوجه عمه حضر وليد الحفل البسيط، وبعدها بدقائق دخل حازم، أراد أن يكون بجوار رشا في الجلسة لكنه لاحظ وليد ينظر إليه، قد يفسد عليه الحفلة، فجاور عمه صابر.

أراد وليد أن يظهر عدم الرضا، كأنه جاء إكراما لزوجة عمه، وبدا غير متأثر بلمة العائلة.

بدأ الجميع يضحكون ويتسامرون، لكن في داخل كلا منهم أسئلة كثيرة يغلب عليها القلق والخوف من المستقبل

- رشا تفكر، هل ممكن أن يتقدم حازم لخطبتي الآن؟... ولما لا، ماذا ينتظر؟... مجرد خطوبة فقط أو حتى كلام نعرف به الناس أين ستسير الأمور، وتمنع أحد أن يتقدم لخطبتي، بعدها نستطيع أن نخرج سويا، ونكلل قصة حبنا، فأجمل أيام الحياة هى أيام الخطوبة، كل فرد يتفاني من أجل حبيبه.

- كابتن توفيق، يعرف مدى حب حازم لرشا، ولكنه لا يستطيع أن يطلب يدها وجيوبه فارغة، حتى الدبلة لا يستطيع أن يحضرها الآن. وربما تتعقد الأمور لو فعل ذلك، فحازم أمامه سنوات، بينما حان وقت الثمرة أن تقطف وإلا سقطت من تلقاء نفسها. ويعلم أن أخيه صابر يريد أن تصبح إبنته دكتوره في كلية التربية، فهي متفوقة في دراستها، ويرغب أن يجوزها شخص له مكانة، كما سيكون لإبنته مكانة في المجتمع.

- أما صابر فهو يحب حازم ويثني على أخلاقه، لكن الرياضة لا تغني ولا تثمن من جوع، كما أن دخول حازم الاكاديمية صعب لعدم وجود الواسطة اللازمة، فلا مكان للضعفاء في هذا البلد. ويخشى أن تعيش إبنته كما عاش حازم في حرمان وفقر، فالفقر كفيل أن يقتل أى حب، وإذا أصرت على هذا فلها ما تطلب، لن أجبرها على الزواج من رجل غير حازم، هى حرة تختار من تشاء، لكن عليها أن تتحمل تبعات قرارتها، وأن تواجه الفقر بشجاعة.

- حازم يرى أن التريث في التقدم لخطبة رشا ضروري. فقد تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن، والأكاديمية هى الأمل الوحيد حتى أحظي برشا، فبعد شهور قليلة سأصبح ظابط، بعدها أكون في وضع إجتماعي مناسب لأخطب حبيبتي، لكن دخول الأكاديمية مرتبط لحد كبير بالحصول على بطولة الجمهورية للجودو،الأيام تمر بسرعة، ورشا يتقدم لها من هو أفضل منه حالا، لكنها مازالت ترفض، إلى متى ستظل ترفض من أجل حلم صعب المنال.

- أما وليد، فكم تمنى أن يدخل الجامعة ولكنه لا يحب الدراسة، ربما بسبب مدرس المرحلة الإبتدائية التى كان يضربه كثيرا، فلم يذهب

إليه في الدروس الخصوصية... من الذي غيرني هكذا؟ كنت أحب جيراني حتى جورج كنت أحبه وألعب معه، كان نعم الصديق... ماذا حدث لى؟ هل أنا مقتنع بما افعل؟ إنهم يلقبونني اليوم بالشيخ وليد، لي مكانة عند بعض الناس حينما يأتوا ليسألوا عن أمر من أمور الدين، أشعر بالسعادة وأنا أتكلم وهم يسمعون. هكذا إشتد الصراع داخله.

انتهى الحفل وحملت رشا ألأطباق لغسيلها، لعلها تعطي الفرصة النهائية لحازم بطلب خطوبتها، بعد ذلك نفكر سويا بصوت عال بدلا من هذا الصوت المكتوم.

دخل حازم غرفته وأغلق الباب، متعللا بصداع أصابه في رأسه، حينئذ أدركت رشا ان الجولة إنتهت، لكن المباراة لم تنته حتى الآن. فمنذ ساعات عبر لي عن حبه ونطق بعد سنوات طويلة، فهل يحتاج الوضع إلى سنوات لكى يتقدم لخطوبتي؟

دخلت شقتها، وهى سعيدة بإعتراف حازم بحبها. ومن قلب أوراق مفكرتها القديمة أخرجت صورته، قبلته، ضمته إلى صدرها، ورقصت به رقصة باليه شعبية.

كادت أن تغلق المفكرة، لكنها قرات في مفكرتها، اسفل صورة حازم، مقولة): الزمن بطيء جداً لمن ينتظر... سريع جداً لمن يخشى... طويل جداً لمن يتألم... قصير جداً لمن يحتفل... لكنه الأبدية لمن يحب)- وليام سكشبير.

أغقلت مفكرتها وأدارت مؤشر الراديو، واستمتعت صوت وردة تغني:

خليك ياجرح بعيد

ده هوانا لسه جديدة

لسة في أول عيد

وسافري يا أحزان

مالكيش مابنا مكان

ساكن قلوبنا أمان

***

(١٣)

استلم نادر وزملاؤه خطاب التوجه إلى منطقة التجنيد، والخطاب يحمل إسم الشخص المرشح لتادية الخدمة العسكرية، مجرد إجراء تنظيمي يسمح له بالدخوال إلى منطقة التجنيد حيث يحظر على العامة من الناس الدخول لكونها منطقة عسكرية.

وعند بوابة التجنيد سأل الجندي سامح:

- أين خطاب الترشح للتجنيد؟

- نسيته في البيت، لكن معي البطاقة تثبت هويتي.

- لازم تحضر الخطاب والبطاقة معا ليسمح لك بالدخول.

تراجع سامح قليلا عن البوابة، فوجد نادر على مقربة منه، ذهب إليه وقص له ماحدث بينه وبين العسكري، وقال له أن الدخول ممكن بأي خطاب، لأن العسكري لا يقرأ، فهناك أعداد كبيرة من المرشحين تدخل البوابة، لا يستطيع أن يقرأ كل الخطابات.

- نادر: ما العمل إذن؟

فكر سامح، ثم اقترح على نادر بعد أن يدخل من البوابة الحديدية يخفي الخطاب داخل ورقة من فئة العشرة جنهيات، ثم ينادي عليه طالبا منه عشرة جنهيات سلف، معللا ذلك بأنه يريد أن يذهب إلى البيت لإحضار الخطاب وليس معي أجرة التاكسي، فيعطيه الخطاب مخبأة داخل ورقة العشرة جنهيات، فلم يعد للخطاب قيمة بعد أن دخل نادر من البوابة.

وافق نادر على الحيلة معتمدا أن العسكري غالبا لا يقرأ ولا يكتب. وفعلا تمت الخديعة ونادى سامح نادر بعد الدخول وأعطاه الخطاب مختبئا داخل ورقة العشرة جنيهات أمام العسكري المكلف بالحراسة والتنظيم.

أخذ سامح الخطاب وغاب نصف ساعة، على أمل ان ينسى العسكرى هيئته وتصبح الأمور منطقية، فسامح لا يرغب في الذهاب إلى البيت والبحث عن الخطاب الذي قد لا يعثر عليه.

نصف ساعة وعاد سامح إلى البوابة، وأشار إلى العسكري بالخطاب والبطاقة كما يفعل باقى المطلوبين من بعيد، لكن العسكري فهم التمثيلية واستوقف سامح فاحمر وجهه عندما فتح العسكري الخطاب، فوجد اسم المرشح نادر علم الدين فتحي أحمد، بينما الإسم في البطاقة، سامح يسري عبد العظيم محمد.

- العسكري: الإسم في البطاقة مختلف عن الإسم في خطاب الترشح ليه؟

- سامح: مرتبك جدا: ده إسم الدلع يا دفعة.

- أربعة أسماء كلها دلع؟ تعالى معى.

- على فين؟

- نكمل الدلع ونخلى حياتك الباقية كلها دلع.

- لا أرجوك يا دفعة مستقبلي كدا هيضيع.

لم يصغ إلى توسلاته، وبعد دقائق وجد نفسه مقيد بكلبشات حديدية كان يراها فقط في الأفلام، الآن هى في يده. بعدها بدقائق رأى صديقه نادرعلم الدين مقيد بكلبشات أخرى، فهو مشترك معه في الجريمة كما يسميها الرائد.

وأمام الرائد، كان نادر وسامح في موقف لا يحسدون عليه، وهما يبدآن حياتهما العسكرية بقضية تزوير.

بث الرائد مشاعر الخوف فيهما، وإدعي أنهما سيواجهان أقصى عقوبة ممكنة، كلمات أطلقها كما يطلق الرصاص من مدفع رشاش.

بعدها أبلغ الرائد العقيد بما حدث فاتجه إلى مكتب الإستقبال حيث يوجد سامح ونادر، عنفهما وأعطاهما درسا قاسيا في معني الرجولة، وأن الجيش المصري هو مصنع الرجال، ولا يقبل بأنصاق الرجال، فكيف تفعلا ذلك في المؤسسة التى تبذل كل ماهو غال ونفيس لخدمة الوطن؟

اعتذرا سامح ونادر وانصرف العقيد وتركهما حوالي نصف ساعة ثم حضر وأشار إلى إلى عسكري الأمن أن يفك قيدهما ويرافقهما إلى ساحة انتظار المرشحين، فتنفسا الصعداء.

وتحت حرارة الشمس الحارقة تجمع الشباب بانتظام، جالسين لا أحد يتحرك وقلبوهم مملئوة بالحماس والحب لخدمة البلد، يعلمون أنهم سيذهبون للصحراء حيث الشتاء القارس بالليل على الحدود، أو تحت أشعة الشمس الحارقة لتلبية نداء الوطن، الجيش هو المؤسسة الوحيدة التى تراعي العدل في دخول أبنائها... فالكل سواسية، لا فرق بين غني فقير كل يؤدي واجبه، سواء كان مجند سنة أو سنتين أو ثلاثة.

كان الملازم يتولى تنظيم المجندين الجدد، ولاحظ إنضمام سامح ونادر إلى الجالسين، فنادى عليهما وسألهما:

- لماذا التأخير؟

تدخل سامح وأنقذ الموقف قائلا: صدر نادر يؤلمه.

- إذن عند الإنصراف تحدث مع الطبيب المختص... قال الضابط.

جاء العقيد ومعه خطاب فتحه أمام الجميع، أنصت الجميع إليه، وتلى قرارا من قيادة الجيش بتأجيل الدفعة الحالية ثلاث سنوات.

***

(١٤)

أبت أن تدفع إتاوة كلما مروا عليها أسبوعيا أو كل أسبوعين تقريبا، كهرباء، مرافق، مياه، أشغال طريق، ضرائب، تأمينات، مجلس المدينة، دفاع مدني، فرفعوا تقريرًا عن سوء حالة الشارع والقمامة التى يخلفها الكشك وتعطيل السير، وربما نسى كاتب التقرير ملحوظة مهمه، أن أم عوض تشكل خطورة بالغة على الأمن العام، أو أنها مسألة أمن قومي.

جاءت فرقة من قسم الشرطة بقيادة عميد وبرفقتهم بلدوزر، لهدم الكشك دون رحمة أو تهاون، وسط صياح وبكاء ولطم خدود من أم عوض وهي تستغيث، ثم انقطع صوتها بعد أن أصيبت بإغماء شديد كأنه الموت، ضربات قلبها ضعيفة، لحظات حزن قاتلة، الرجال والنساء يتوسلون للعميد بأن ينتظر حتى يجمعوا البضاعة بعيدا عن مخلفات الهدم.

العميد يرفض متعللا بأنه ليس لديه وقت، أصر على إستكمال عملية الهدم، وجوه يملئها الحزن على منظر البضاعة وهى تتطاير في الهواء ثم تسقط وتختلط في التراب.

دموع تنهمر من القلوب كنوة شتاء قارس تعاطفا مع هذه المسكينة، ماء يكب فوق رأسها لعله يخفض وهج النار في وجهها.

تقدم المعلم زعتر صاحب المقهي ومعه شلة المعاشات، يتوسلون للعميد، والعميد يرفض حتى أن يسمع أو يتكلم، وهو يعطي أوامره فقط بيده وعينيه دون أن يتكلم، ولا أحد يستطيع أن يتفوه بكلمة واحدة، غير حسبي الله ونعم الوكيل...

إفاقة ضعيفة. تنظر أم عوض إلى كشكها وبضاعتها التي اختلطت بالتراب والخشب والمسامير وشظايا البللورالمكسور، وكأن مشهد الزلزال عاد من جديد، العفش المتطاير والصور المقطعة، وسارع الناس لإلتقاط بعض الأشياء ووضعها على جانب الطريق، ربما تستفيد بها، وجلست أم عوض بين الإفاقة والإغماء.

ياسمين تأتي من بعيد بخطى مسرعة لاهثة، حافية القدمين بجلباب بيت

وإيشارب، لم تستطع أن تلبس أى شيء وقت سماع الخبر، تصرخ، تحتضن أمها، تمسك برأسها وتضعها على صدرها، تبكي من شدة الألم ، بكاء لا ينقطع.

انتصف الليل...

وقفت أم عوض أمام صورة عوض وأبيه المعلقة على جدار الصالة في البيت... دموع تسيل، جرح في القلب يفتح من جديد، تلمس بيدها الصورة، وكأنها تريد أن تلامس وجهيهما، تحرك أصبعها على فم إبنها، تلتقط الصورة من على الحائط لتقبلها، تأخذ صورة أبو عوض وتضعها على صدرها، وتتمتم:

- ثقل الحمل على من بعدك يا حبيبي، وحشتني يا أبو عوض، لا أستطيع ان أحتمل مرارة الأيام من بعدك، كنت تحمل عني الكثير. شفت عملوا إيه في الكشك؟... هدموه، مصدر رزقي الذي أربي منه ياسمين بنتك.

أين أنت الآن يا حبيبي؟... هل تسمعني؟... أعرف أنك في أحسن حال من هنا، فأنت عند الرحمن الرحيم، ياسمين كبرت وباقى لها عام واحد وتحصل على الشهادة، كم كنت اتمنى أن تحضر زواجها وتسلمها بيدك إلى عريسها، منذ أسبوع مضت حدثني أحد الجيران انه يريد ياسمين لإبنه، ياسمين كبرت وبقت جميلة، أخذت منك الكثير، وهي تحبك كثيرا، ودائما تدعى لك في صلاتها أنت وعوض.نامت وتركت الصورة على صدرها، تحتضنهما لعلها تذكرها بلحظة جميلة عاشتها معهم... هكذا حادثت أم عوض صورة زوجها وإبنها.

مرت ثلاث أيام من الصمت في منزل أم عوض، النساء يتوافدن عليها لمواستها، وكأنه عزاء أبو عوض وأخيه، يالها من مصيبة كبيرة، إنقطاع مصدر الرزق، من أين تأتي بقوت يومها؟... إيجار شقتها الصغيرة، مصاريف كلية ياسمين، باقي سنة واحدة وتتخرج من الكلية.

ماذا تفعل ؟

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهمي وحزني يارب العالمين، هكذا ناجت أم عوض ربها.

- السلام عليكم... هكذا بدأ الحاج علم الدين وهو يطرق باب أم عوض،

سمحت له بالدخول، فسمعته الطيبة دائما تسبقه، أخلاقه العالية، حبه لمساعدة الناس، تدينه المعروف عنه.

- كيف حالك يا أم عوض؟

- الحمد الله مستورة.

- جئت إليكي بطلب أرجو منك ألا ترديه.

- ومن يستطيع أن يرد طلبك يا حاج علم؟

- أهل الخير جمعوا لك هذا المبلغ لكى يساعدك على قضاء بعض الحاجة.

- لا ربنا موجود يا حاج علم.

- أرجوك لا تردي الناس ولا تخيبي رجائهم فيك.

- يا حاج علم....

- لا تنطقي بكلمة واحدة، أقسم عليك بالله.

قبلت الهدية... الحمد الله، الخير في الدنيا موجود، ربنا لا ينسى أحدا، لسه فيه ولاد حلال في الدنيا،

نصحها الحاج علم بألا تبلغ ياسمين بهذه الهدية حتى لا يقع في نفسها شىء، وأن تشتري عربة متحركة وتقف مكانها طول اليوم، وعندما يكون هناك حملة تغير مكانها.

بارقة أمل تخرج لتضىء الظلام قليلا بعد أن أعياها التفكير والبكاء ثلاثة أيام متالية.

شعرت ياسمين بثقل الحمل بعد هدم الكشك، وأبلغت أمها أنها تبحث عن عمل وتذاكر الدروس في نفس الوقت.

- صرخت أم عوض: لم يتبق غير سنة واحدة على تخرجك، لا يمكن أبدا أن يحدث هذا. قلك هدأت من روع إبنتها وخوفها من الأيام، وذكرتها بصلاتها

وقرائتها للقرآن الكريم، وخاطبتها:

- لا تقلقي إن الله لا ينسي عباده، ورغم كل اللي حصل وهيحصل، مصر يابنتي لا أحد يموت فيها من الجوع، ثقي بالله. ثم أخرجت المبلغ الذي جمعه الحاج علم من الناس لمساعدتها، وأبلغتها أنها ادخرته للزمن، وقالت لها:

- لا تقلقي يا صغيرتي... لدينا ما يكفينا، سنصنع عربة متحركة لبيع بضاعتنا، وبذلك لا يكون لأحد عندا أى شىء، فاستغربت ياسمين من أمها ولكن فرحتها، جعلتها لا تحسن التفكير من أين جاء هذا المبلغ؟

***

(١٥)

على لوحة مضيئة، وضع نادر تصميم مشروعه الجديد (معرض المستقبل للسيارات)، بعدها أقدم على تهيئة المعرض قرابة شهرين كاملين، من سيراميك وكهرباء ومياه وأماكن للسيارات داخل المعرض، واختار أن يبدأ باللوحة أولا حتى تعطي مجالا أوسع للدعاية، فكلما مر شخص عليها يعرف أن هنا معرض للسيارات المستعملة.

خرج نادر من صلاة يوم الجمعة مصطحبا والده، وتحت اللوحة لاحظا شخص يقف يسأل العامة من الناس فاقترب منه وسأله:

- ما حاجتك؟

- مبروك المشروع الجديد.

- نادر: الله يبارك فيك.

- أنا أخيك معتصم من الضرائب.

- نادر: لم نبدأ العمل حتى الآن.

- ومن يدري أنك لم تفتح... أليست هذه لوحة المشروع... على العموم سأمر عليك الأسبوع القادم. وربك بالسر عليم.

تدخل الحاج علم بعد أن فهم مقصد الرجل، فهو يريد رشوة أو إكرامية كما يسمونها، ولن يفتح أى ملف طالما استمر الدفع من تحت الترابيزة.

غادر موظف الضرائب ولسان حال نادريقول: هذا مغتصب وليس معتصم.

- الحاج علم: نعم يا إبنى يريد إكرامية، فهل هناك موظف يأتي يوم الجمعة؟

- ولكني لن أبدا مشروعي بعذه الطريقة، أنه فساد ولا أرضى به، هذا يضرني ويضر بلدي، وسوف أدير المشروع بطريقة قانونية، ولن أستسلم.

أشفق الحاج علم على إبنه، ودعاه لتناول الغداء سويا كما تعودا كل يوم جمعة بعد الصلاة.

طيلة سنوات الغربة وضع الحاج علم كل مدخراته في البيت، وهو نفس تفكير كثير من الفلاحين الذين يسعون إلى بناء بيت يحميهم من تقلبات الزمن، مجرد جدران لا تغني ولا تثمن من جوع وقت الحاجه، فالأولى هو العمل لإقامة مشروع يدر دخلا، ومن خلاله يبني بيتا، أما الآن فالبيت معرض لعاصفة قوية إذا مر بنا ضائقة مالية...

هكذا حدث نادر نفسه، إن والده تسرع بشراء قطعة أرض وبنائها وقد كلفتهم الكثير. ولهذا كره نادر الغربة وأراد أن يبدا فور تخرجه من الكلية وقضاء فترة التجنيد بمشروع صغير يكبر بمرور الأيام.

أتم نادر مشروعه واستكمل كافة الأوراق القانونية وسط حالة من الإستغراب، فالكل تعود أن يفتح مشروعه لمدة عاما أو عامين أو ربما ثلاثة بدون أية اوراق، ويكتفي برشوة الموظفين الذين يمرون عليه، حتى الموظفين كانوا يوجهون له النصح بعدم تقديم الأوراق الآن، فليس في حاجة لها إلا إذا كان سيتقدم لمناقصات حكومية، وقتها يلزم عليه إستكمال الأوراق.

وبدأ الإفتتاح، وتوافد الأصدقاء والأحباب لتهنئة نادر الذي استثمر خبرته في السيارات وجمع خمسة سيارات صغيرة ما بين قديم وجديد نوعا ما، فهو يعشقها منذ الصغر ويعرف ويميز السيارة الجيدة من المعطلة.

يشتري نادر بعض السيارات التى بها عيوب خفيفة، ثم يبيعها إلى الزبون في حالة جيدة بعد تغيير قطع الغيار التالفة أو التى أوشكت على الإنتهاء.

ألأمانة التى تعلمها واكتسبها من والده توغلت داخل أعماقه مشكلة حصنا منيعا ضد الغش والفساد، كما أن سوق العمل في الخليج كان أقل فسادا من مثيله في مصر.

تعرف نادر من خلال عمله على الطرق الملتوية في التجارة، كشراء سيارة مسروقة بأوراق مزورة بمبلغ زهيد ويبيعها بمبلغ أقل من قيمتها السوقية، أو سيارة مقسومة نصفين يشتري الرجل النصف السليم ويلحمها بطريقة فنية ماهرة ويطليها بمادة الدوكو فلا يميزها إلا خبير مثله.

لكن نادر رفض كل هذه الطرق وأصر على استكمال طريقه بنزاهة وشفافية، رغم تردي السوق والمنافسة الشرسة المشروعة وغير المشروعة التي شكلت عبئا عليه في بداية المشروع. فاضطر لتخفيف سقف الربح حتى يستمر في مشروعه الذى كلفه الكثير من مال وجهد.

وبجوار مشروع المستقبل للسيارات المستعملة، فتح نادر مشروعا تكميليا، مغسلة للسيارات وتغير الزيوت الأصلية.

لاحظ نادر والده يستقبل أسفل البيت رجلا يظهر له إحتراما خاصا، هذا الرجل- كما علم نادر- هو الحانوتي الوحيد في المنطقة مع أولاده، ولذلك فكل الناس يخشونه لعلمهم أنهم سيلقى بأجسادهم عارية أمامه، سواء هو أو أولاده من بعده، لعله يحسن غسيلهم قبل الرحيل، لذلك كان طلبه مجاب عند الخاصة والعامة أيضا، فالرجل له خمسة أبناء، أربعة منهم تم تعيينهم فور تخرجهم بشهادتهم المختلفة المتوسطة والجامعية في أفضل الاماكن، وبقي ولد واحد لم يستطع أن يكمل تعليمه:

مخاصي... إبن الحانوتي- كما إشتهر به- فلا أحد من المدينة يناديه إلا بمخاصي، لأنه يمشي وخصيتاه تتحركان يمينا وشمالا تحت ثوب واسع فضفاض، ويترك رأسه تتدلى منه لا سيطرة عليها في سيره، فأطلق العامة عليه هذا الإسم، دون أن يعرفوا إسمه الحقيقي، وهو إستجاب لهم، فقدرته العقيلة لا تؤهله لأن يعترض.

توسط الحانوتي لإبنه مخاصي، للعمل عند نادر براتب في المعرض، ينظفه ويلبي له طلباته ويمسح السيارات ويغسلها، ولعله يرزق من الزبائن ببعض الإكرامية عند شراء السيارة، قبل نادر أن يعمل معه من باب الإحسان فالشباب لا يخافون الموت كما يخشى الكبار.

دخل المهندس أنس ليبارك لنادر مشروعه الجديد، فرحب به كثيرا واهتم به، فالرجل مجتهد ومتفوق منذ الصغر، ونادر يحبه كثيرا لأخلاقه العالية.

طلب نادر من مخاصي أن يحضر القهوة العربية التي يحضرها من الخليج، مع قطعة من الكيك الفاخر لصديقه أنس المعيد بكلية الهندسة، فاستغرب

مخاصي عن سبب مبالغة نادر في خدمة معيد يعني ساقط على حد تفكيره أى راسب؟ وقال في نفسه أنه لا يوجد فرق من أنه يعيد في كلية الهندسة أو يعيد في الإعدادية... فكلها في إعادة!

انتهى اللقاء وسأل مخاصي نادر:

- لماذا هذا الإهتمام يا أستاذ نادر بواحد معيد في المدرسة؟

- نعم!... أقول لك إنه معيد في كلية الهندسة يا مخاصي.

- وهل تفرق؟

- نعم تفرق، معيد الهندسة جلس يعيد طول عمره، يعني فاشل بإمتياز، أما معيد الإعدادية فعرف طريقه من بدري فترك التعليم، فهو طالب ناصح ذكي.

- أيوا أنا عندي ابن عمي ناصح وشاطر خرج من الإبتدائية ياستاذ نادر.

- من الإبتدائية!... ما شاء الله إنه يمتاز بالذكاء الشديد.

- أيوا عائلتنا كلها عباطر يا أستاذ نادر.

- إسمها عباقرة يا مخاصي.

- نحمد الله الحمد الله!

***

(١٦)

نبضات قلب سريعة، خوف، يدان مقيدان من الخلف، غطاء أسود على العينين، دموع ورجاء، جسم يرتعش، سكون قاتل يحتوي الغرفة... باب يفتح، صوت أقدام تمرق كالفئران في العشة.

- إسمك إيه؟

- أنا عملت إيه يابيه؟ أنا مش عارفة جاية هنا ليه؟

- الضابط (بصوت أجش): جاوبي على قد السؤال.

- حاضر، أنا فين؟

- أنت في جهة أمنية.

خارت قواها بعدما أخبرها أنها في جهة أمنية، وسندت ظهرها إلى الحائط وتهاوت على الأرض.

أشار الضابط إلى العسكرى الذي يقف في الغرفة أن يوقفها، فمسك كتفها ورفعها من على الأرض، وأمرها أن تقف ثابتة ولا تتحرك.

أكمل الظابط التحقيق معاها، متهما إياها بأنها تنتمي إلى جماعة إرهابية محظورة.

- لم أنضم إليهم ولم أسمعهم يتحدثون في موضوعات غير الدين.

- الضابط: مازلت مصرة على الإنكار؟

- لم أفعل شيئا، كل تهمتى أننى كنت أصلى في مسجد الكلية،

- الظابط: هتعترفي وإلا تكون دخلتك النهاردة عندنا.

دقات قلبها أصبحت كطرقات عنيفة على باب:

- أنا مش عارفة عملت إيه والله العظيم.

- من الذى دعاك للإنضام إلى الجماعة؟

- لا أحد، أنا فقط قررت أن أرتدي الخمار وأحافظ على الصلاة في المسجد، وأحضر بعض الندوات.

رائحة نفس خبيث يقترب منها، يفك زراير بلوزتها، واحدا تلو الآخر، صوت إستغاثة منقطع، رجاء، توسل، دعوة لأن تقبل رجله ليرحمها.

وقفت بدون بلوزة، نزع بيده حاملة الصدر، وبقى النهدين فى حالة من اليتم . يد غليظة تتحرك لتسقط جيبتها، ينتزع سترتها الداخلية بوحشية، عارية تماما، صوت فلاش يصور، رعشة تسري في جسدها كأنها ماس كهربائي، إغماء إقترب من الموت، تم إفاقتها.

إختلفت لهجة الظابط في مخاطبة ياسمين، جلست على الكرسي أمامه عارية، أحضر لها كأس من العصير، حاول تهدئتها.

- ماذا تريد أن افعل؟

- تنقلي لنا أخبار الجماعة وتكوني واحدة منهم.

- ليه؟

- لتعرفينا أخبارهم أول بأول.

- ولماذا لا تأتوا بهم هم؟

- هم كثر ويتزايدون كل يوم، لا بد أن نعرف عددهم وإمكاناتهم أولا، ثم نقبض عليهمم.

- أنت معنا يا ياسمين في آمان، طلباتك ستكون مجابة، وسنساعدك على إيجاد عمل معنا بعد الإنتهاء من الدراسة. وظيفة جيدة لا تقلقي فقط إذا أحسنت عملك.

- ممكن ألبس ملابسي؟

- صوت عالى: صبرا أنا عارف الشباب كله مستعجل على إيه!

- (بنبرة حزينة): حاضر أنا تحت امرك.

- أنا أجلت دخلتك يا ياسمين، مش عاوز أستعجل بيها زي ما أنتم مستعجلين. وممكن كمان ألغيها خالص. ولا تنسي صورك كمان في كل مرة تأتي بأخبار جيدة سأعطيكي جزء من الصور... إتفقنا؟

- حاضر، تحت أمرك.

- عربة ألقت بها بالقرب من بيتها، نزلت ياسمين وهي لا تصدق ما حدث معها وكانه كابوس مخيف.

- ما كل هذا الظلم الذي يحيطنها، وأين مصر التى نسمع عنها ونعشقها، هل هذه مصر؟... لم أفعل شيئا لكي أعاقب بهذه البشاعة، وكيف أنفذ ما يطلبه منى؟، كيف أكتب تقارير في طلبة لايفعلون شيئا؟... إنهم ضحية ظروف الفقر، هربوا من الحياة والفقر لعدم قدرتهم على مواجهتها إلى صفحات المصحف والدعوة إلا الله. ربما اختار لهم رب العالمين هذا الطريق ليسمع نجواهم له، ربما لو كانو اغنياء لانحرفوا، كيف أكتب تقارير في مدحت شوقي التى إحتضنني، وكثيرا ما أشعر بالراحة وهو يتحدث معي، هو الوحيد الذي إستطاع ان يعطيني أملا في الحياة بكلماته الرقيقة والمؤدبة، كيف أكتب فيه تقريرا يؤدي به إلى الإعتقال أو السجن؟، وإذا لم افعل ستكون صوري مع كل واحد في البلد وإعتقالى وإغتصابي على يد الظالمين.

أمي لن تحتمل كل هذا، ستموت لو عرفت ما حدث لى، أو تسرب لها صورة من الصور، ستموت ويبقى لي العار، ماذا أفعل؟

وصلت ياسمين البيت وفتحت الباب ويداها ترتعشان، كانت أمها على عربة البيع تجمع قوت يومها، توضأت وصلت ركعتين إلى الله ، ناجت ربها أن ينقذها مما أصابها، ألقت بجسدها على الفراش، نامت بعمق وكأنها لا ترغب أن تستيقظ مرة أخرى، فالموت راحة لها.

رأت ياسمين والدها وأخيها عوض على مسافة أبعد قليلا، صرخت نادت عليهما، إلتفت الوالد والأخ إليها وإبتسما، بكت ياسمين بحرقة وأرادت ان تلحق بوالدها وأخيها، كان الطريق صعب ولكن هناك طريق آخر فيه جزء من الضوء ليس مظلما، من الممكن العبور إليهما، وضعت رجلها على بداية الطريق ومشت

مدت يدها لتحاول أن تلامس يد أبيها وهو يمد يده لها ليساعدها أن تعبر الطريق ويبتسم.

اقترب المساء، استيقظت ياسمين من نومها العميق، وقصت ما رأت في حلمها لأمها، وأخفت عنها ما حدث اليوم من ظلم وقهر وتعذيب.

- ياسمين: ما معني هذه الرؤيا يا ماما؟

- أم عوض: والديك وأخيك يشعران بك وروحهما موجودان هنا، وأنت تمرين بضيق شديد وسيفرجها الله عليك، كلما كان هناك بكاء في الحلم كلما كان الفرج لا تقلقي يا إبنتي. ولكنه ليس الفرج قريبا فوالديك وأخيك كانا على مسافة منك، لم ترأى وجه أبيك مباشرة.

- أم عوض: إحك لي يا جميلتي، ماذا بك؟

- ياسمين: الكلية والمصاريف وطلبات البيت زادت عليك يا أمي. ربنا يخليكي لي ويعطيكي الصحة.

***

(١٧)

أمام بيت سامح وقف أدهم ودق الجرس، إستقبله يسري فايق بحرارة، ونادى على إبنه سامح لكي يستقبل الضيف، وأخبره بأنه سيتغدى معنا.

استغرب سامح، فليس هذا وقت غداء، كما أنهم تناولوا طعام الغداء بالفعل، لكن يسري كرر التنبيه على إبنه: لا تترك أدهم يذهب دون أن يأكل معنا.

إلتقط يسري خيطا جديدا بسرعة عندما رأى أدهم بسيارته الجديدة التى اشتراها له واصل بمناسبة نجاحه في الكلية، فكر أن يتقرب منه لعله يساعد أدهم في الحصول على وظيفة حكومية، محاولة لن تكلفنا إلا وجبة حمام.

لاحظ سامح أن أدهم غاضب فسأله: ماذا بك يا صديقي؟

- كيف ترى أختى هدي مع واحد ولم تبلغني يا سامح؟

- ظننته أحد أقربائك، فانا أعرف هدى كويس، بنت محترمة ولم أسمع عنها شيء.

عرف سامح كيف يمتص غضب أدهم، فهو لم يأت ليعاتبه بل محاولة لإرسال رسالة أنها أخذت عقابها وأنه لن يسكت على تصرفاتها مرة أخرى.

- لا لم نكن نعرفه فهو قريب أحد اصدقائها وعرض عليها أن يوصلها فوافقت. ولكني عاقبتها وضربتها.

- لماذا يا أدهم؟... إنها كانت مع أصدقائها في السيارة وتجلس بأدب.

إنبسطت أسارير أدهم بعض الشيء، فسامح يعرف كيف يرد بطريقة ترضي غروره بعض الشيء، ولا تنقص منه شيء وهو ما يرديه بالضبط، ولكن أدهم استمر في غضبه قائلا:

- مهما حصل... ما فعلته هدى خطأ وعوقبت عليه، وأبى لا يسمح بمثل هذا أبدا يا سامح فهو شديد جدا.

- مر وقت طويل على هذا يا أدهم، لم أقابلك من يومها، صحيح أنت فين

من زمان؟

- سافرت في الساحل الشمالى وجلست فترة.

- لم أقابلك في التجنيد.

- كنت في الساحل ولم أستطع أن أحضر، كنت سأحضر تاني يوم ولكني علمت أن كل الدفعة أخذت تأجيل.

- كيف خططت لمستقبلك يا سامح؟

- يحاول أبى أن يحصل لي على عقد مؤقت في المطار إلى أن تأتي فرصة لتعبيني بصفة دائمة، فهو محبوب هناك وعلاقته ممتازة بالمسؤولين. في المطار، ولكنهم أبلغوه أن التعيينات والمسابقات واقفة منذ فترة، وأنا أنتظر الفرج؟

- بالتوفيق إن شاء الله.

إستعد أدهم للإنصراف فرفض سامح وأصر على أن يتناول الغداء، مذكرا إياه أنت منذ زمن لم تدخل بيتنا، كما أن الحاج يسري سيغضب مني وربما يمنع عني المصروف.

ضحك أدهم ووافق على تناول معه الغداء أو العشاء فالوقت كان بعد صلاة المغرب.

على مائدة بها أشهى الأكلات الريفية، جلس أدهم وسامح في غرفة الطعام وتبادلا الحديث والضحكات وتذكرا أيام الكلية، فهى أجمل أيام العمر.

إنتهي تناول الطعام وعند باب البيت جاء الحاج يسري وقبل أن يودعه أبلغه أنه سيزور والده واصل في مكتبه بالمحافظة، فمنذ فترة لم يقابله، العلاقة بين يسري فايق وواصل البياع لم تكن قوية بل مجرد معرفة بسيطة، فواصل يعرف يسري بحكم أنه رجل إنتخابات.

***

أمام مكتب فخم إنتظر يسري للدخول، وبعد حوالي نصف ساعة سمح له

بالدخول... هكذا كانت عادة واصل ليعطي إنطباعا للآخرين أنه مشغول جدا ولديه مسؤوليات جسيمة، لعل هذا يلتمس بعد العذر له في نسيان طلباتهم، كما تعطي نوعا من المكانة والعظمة وتعوض في نفوسهم بعض النقص.

إستقبل واصل الحاج يسري بحفاوة، وتحدث معه عن أحواله وأحوال أولاده وسامح، عندها شعر يسري أن واصل إهتم به كثيرا وإمتدت الجلسة قرابة نصف ساعة وهو أمر لم يكن معتاد، فالرجل معروف بأنه يأخذ ولا يعطي، لابد أن هناك شيء، لعله أمرا من أمور الإنتخابات ، ولما لا؟ المهم سامح يحصل على وظيفة.

في نهاية اللقاء طلب يسري من واصل أن يبحث عن فرصة عمل لسامح مع أدهم، فهم أصدقاء منذ زمن، وذكره أن الأمور محتاجة واحد بطل مثل الحاج واصل لكي يحل المشكلة الكبيرة.

منذ اللحظة الاولى وواصل يعلم سبب مجيء يسري وطلبه قبل أن ينطقه على باب المكتب، ودعه بحرارة وقال له: إطمئن سأفعل قصار جهدي. وطلب أن يقابل سامح أول الشهر في البيت.

خرج يسري وهو غير مصدق من طريقة المقابلة، لا بد أن هناك سبب لإهتمام واصل غير العادي، فهو يضع تسعيرة للتوظيف في الجهات الحكومية كالكهرباء والسكة الحديد والجمارك، والتسعيرة الأغلى للبترول. أما أبناء الفلاحين والعمال والطبقات الشعبية، فلا فلا وظائف لهم في هذه الأماكن.

- وسأل يسري نفسه: لماذا يريد واصل أن يقابل إبني سامح؟ .. فلم يسبق أن اهتم به ولم أسمع أن قابله ذات مرة وكلمه، هؤلاء الساسة المكر والدهاء أكبر أسلحتهم.

عاد إلى البيت فقابلته زوجته قبل السلام وسألته:

- إيه الأخبار؟

- خيرًا إن شاء الله، قابلني وتحدث معي طويلا، على ما يبدو رجل ودود، وطلب أن يذهب سامح إليه أول الشهر في البيت.

- الحمد الله وجبة الحمام جابت نتيجة.

- لا أعتقد.

- أنت مش عارف حاجة، أدهم رجع بيتهم وحكي لأبوه عن أكلة الحمام، علشان كده إهتم بيك.

ضحك يسري على سذاجة زوجته، وقال لها: لو كان الحمام بيجيب فايدة كانو كل إثنين عملوا عشة حمام.

- طيب إنت بقالك ٣ أسابيع ماكلتش حمام، وباين عليك تعبان.

- كدا برضوا، طيب النهاده هتشوفي هعمل إيه، ومن غير حمام.

- هنشوف...

***

(١٨)

على كافتريا الشباب يجلس حازم وصديقه مينا، إقترب موعد بطولة الجمهورية للجودو، علم مينا بأن أدهم البياع واصل تقدم للمشاركة في البطولة، ولاحظ حازم أن مينا يخفي شيئا ما، مينا يعرف ماذا تمثل هذه البطولة بالنسبة حازم؟

أصر أن يعرف ذلك الشيء الغامض الذي يحاول مينا إخفائه، أخبره مينا بأن أدهم البياع سوف يلاعبك في نفس الوزن، وزن نصف متوسط في بطولة الجمهورية .

استغرب حازم فهذا أمر عادي أن يقابل أى فرد، وحمد الله أن مينا لم يقابله في نفس الوزن الذي يلعب فيه:

- أخشى مقابلتك أنت، أما أدهم فمستواه لا يؤهله للفوز بالبطولة، دائما كنت أفوز عليه في الكلية رغم أنه يمتلك بنية جسمانية قوية ولكنه لايتدرب جيدًا وليس لديه عزيمة الفوز ويتعاطي المخدرات والمنشطات، الكل يعرف ذلك وربما لا يسمح له باللعب في البطولة لأن المخدرات في جسمه، إذن لماذا تخشى أن أقابل أدهم في البطولة وأنت تعرف أني أفوز عليه دائما؟

- مينا: أدهم له علاقات ويستطيع قلب النتائج بعلاقته، وأخشى صراحة من نفوذ والده.

- حازم: لا تقلق اللعب سيكون أمام الجميع ولا أظن أن الأمور ستكون بهذا الشكل.

- مينا: سأقابل بعض الصحفيين وأدعوهم لحضور البطولة.

زاد قلق حازم بعد حديثه مع مينا، فهو يعرف أن هذه النوعية من الناس تفعل أى شيء للوصول إلى هدفها، فالغاية تبرر الوسيلة عندهم مهما كانت الوسيلة دنيئة، فالطريق أمام هذه الفئة من البشر لا يعرف العوائق أبدا. ربما يستطيع أن يوصي عليه بعض الحكام ولكنه لا يستطيع أن يغير النتيجه على الأرض، الملعب بيني وبينه وليس لى خيار في هذه البطولة إلا الفوز.

هذا الحلم كفيل أن ينسيه تعب سنوات الفقر والألم والحرمان الذي عاشها هو وأسرته، الفرحة ستدخل البيت وتمكث طويلا ، سفتح له الطريق إلى الأكاديمية،وسيحقق حلمه بالزواج من رفيقة دربه، الكل ينتظر لحظة الفرح، لحظة البطولة، أتدرب ليل نهار، إقترب الموعد، أيام وسيمحو الزمن بعض آلامه.

في نادي الجزيزة الرياضي عقدت اللجنة، ومعهم واصل، ما الذي يمكن أن يفعلوه ليساعدوا أدهم في للفوز ببطولة الجمهورية؟ إنتهى الإجتماع بأنه من الممكن توصيه بعد الحكام ولكن ليس من المكن تغير النتيجة، خاصة إذا كانت الأمور واضحة وحاسمة.

وفي صالة التدريب بالنادي أنهى أدهم تدريبه إستعدادا للبطولة، وإصطحب والده معه للعودة إلى البيت، في الطريق شدد واصل على التدريب الجيد والشاق لأن اللجنة ربما لا تسطيع أن تفعل شيئا، فالعيون كلها تراقب، ولكن أدهم قال لوالده أنه لا يخشى إلا من زميل كان دائما يفوز على في الكلية، والده كان يدربه منذ صغره لكي يحصل على البطولة، وسيلعب معي في نفس الوزن، مضيفا أننا إذا تقابلنا سأخسر لا شك، فهو يعرف مصادر القوة والضعف في لعبي جيدا.

- ما إسم هذا الولد؟

- حازم توفيق.

أخرج واصل ورقة من جيبه و كتب إسم حازم عليها، وإبتسم أدهم إبتسامته الصفراء قائلا لنفسه: أصبحت بطل الجمهورية يا أدهم في الجودو.

- واصل لإبنه: يسري والد سامح زميلك زارني في المكتب وطلب أن أجد عملا لسامح، وظل يترجي أن أحصل له على وظيفة مناسبة تساعده على المعيشة، الناس عيشتها اصبحت صعبة.

- نعم أعرف، لكن لا تتعب نفسك، لا أحد يستاهل.

أعجب واصل برد فعل أدهم، ولسان حاله يقول، (من شابه أباه فما ظلم).

- ماذا تعرف عن سامح؟

- طيب وحسن الخلق.

أشار واصل إلى أدهم أن يكمل حديثه عن سامح، فإستغرب!

- لماذا يا حاج؟

- لا... أكمل.

- من أسرة مستورة وليس له علاقات مثل الشباب، ملتزم إلى حدما، ليس بالمستهتر ولا بالمجتهد، يحب أبسط الأشياء.

- واصل: سنرى ذلك، دعوته أن يأتى لي أخر الشهر، ربما أستطيع أن أساعده، أنت تعرف الشغل الأيام دي صعب جدا يا إبني،

- الحصول على وظيفة خدمة كبيرة يابابا، تعرف أن هناك الكثير من المسؤولين يتقاضون المال مقابل التعيين، وكل وظيفة تختلف قيمتها المادية عن غيرها، لى زميل من الكلية تم تعيينه في شركة بترول وهو تخصص ألعاب قوي، والده دفع مبلغا كبيرا له لتعيينه، وأخر قسم محاصيل زراعية تم تعينه في وزارة السياحة.

غضب واصل أن هذا الأمر إنتشر وعرفه الناس، فهو الذى توسط لخريج ألعاب القوى، وأشار على إبنه ليصمت.

***

(١٩)

استعد سامح لمقابلة واصل صباحا، فغدا أول الشهر، جمع عددًا من البرفانات الغالية الثمن من أبيه، لإهداء إحداها لأدهم الذي يعشق أخذ الهدايا، وأخرى إلى زوجة واصل، والزجاجة الأفضل والأغلى لواصل، وتردد في أن يحضر زجاجة عطر إلى هدي، خوفا من أن ترد إليه، ولكنه حسم الموقف وقرر أن يحضر لها زجاجة عطر.

وفي الميعاد استقبل واصل سامح وسلم عليه، وما إن رأى زوجة واصل فريدة الشوبك حتى إنحنى وقبل يدها وهو تصرف غير مألوف عند أهل المدينة، بل شاهدها في فيلم سينمائي قديم، وما إن وضع قبلته مع إنحائه بسيطة لها، إلا وتبسمت ورددت في نفسها: واصل أحسن الإختيار،

قدم سامح الهدايا بتوسل، كما يقدم القرابين إلى الآلهة.

- تحدث أدهم ساخرا: أجمل شيء فيك يا سامح هداياك، وضحك الجميع.

طلبت فريدة من هدى أن ترتدي فستانا جميلا، فاندهشت هدي ولكنها لم تمانع ولم تسأل والدتها لأن العلاقة متوترة بينهما منذ موقف فادي، وعليها أن تحمد الله أن فريدة بدات تكلمها بعد فترة طويلة من المقاطعة.

دعوا سامح إلى الغداء فأظهر بعض التمنع فهذا كثير عليه ولا يفهم ماذا يريده واصل بالتحديد؟

أخذته الدهشة كما أخذت والده من قبل، ذهب بتفكيره يمينا وشمالا، واستمر في تمنعه عن الغداء، ولكن فريدة ألحت عليه:

- بلاش بخل، عندما جاء أدهم عندكم تغدي معكم، ولازم تتغدي وإلا أزعل منك.

وافق سامح بعد أن تمنع بما فيه الكفاية، ولم يعرف أين ستنهي الأمور، هل هناك مفاجاة!

- قال في نفسه: لم يسألنى عمي واصل، ماذا تحب أن تعمل، وفي أى مكان تحب أن تعمل، حتى الآن لم يسأل.

على مائدة كبيرة من المكولات الخاصة، وضع في وسطها ديك رومي، وعلى جانبه كل انواع المشويات والفواكه والبيسي والعصائر. وكانت المفاجاة أن تشاركهم هدى الغداء، فبدأ الشك يتسرب إلى قلبه، كيف تحضر هدى معه، هذه تقاليد لم نعهدها من قبل هنا.

وضع المنديل كما يفعل الأثرياء على صدره خوفا من أن يقع شيئا من بقايا الأكل على قميصه الجديد الذى إشتراه خصيصا لهذه المناسبة، وبدأ يحرك المعلقة في طبق الشوربة، ولا يبالى بها، فهو يحرك الأفكار داخل عقله.

سمع صوت فريدة تقول لهدى: إدي بعض لحم الرومي لسامح.

حينها أدرك سامح أنه هو عريس هدي القادم، ولما لا؟... هدي ليست جميلة بالشكل المطلوب لكنها بنت واصل البياع. والمشكلة بالنسبة لى فقط كيف تقيم معنا في بيت أقل من بيتها، دعنا نتظر...

- فريد: كل يا إبني. أنت في معزة أدهم إبني .بدأ واصل كأنما قرأ كل الأفكار لحظة بلحظة فهو دهاية بمعنى الكلمة. وأرادت فريدة أن يدور حوار بين سامح وهدى.

- فريدة: سامح أحضر لك زجاجة عطرك المفضل يا هدي.

لا أحد يعرف عطرها المفضل، ربما أمها لا تعرف ذلك، ولكنها أرادت أن تلتقط تعبيرات وجه هدي وتقيمها لسامح.

- هدى: شكرا سامح.

علمت فريدة من خلال تعبيرات وجهها أنها لا تمانع، ربما يكون هناك مشكلة بعض الشىء لكن من الممكن إقناعها لترضى بسامح عريسا.

أما أدهم فقد إلتقط أخيرا خيوط اللعبة، وبدأ عليه الإنزعاج:

- ما هذه الطريقة المهينة في زواج هدي!؟... لا أوافق على هذا، كما أن سامح ليس في مستوي هدي، كيف تعيش في وسط أقل من بيئتها، أنها تصرف مبلغا كبيرا في الشهر لا يحلم سامح ووالده أن يوفره، ما هذا التفكير!؟

انتهى الغداء، طبق من الفاكهة والحلويات الشرقية والغربية أشبه ببوفيه مفتوح، وفي غرفة الجلوس رفضت هدى أن تحمل الشاى لسامح، فهى لم تقرر بعد.

طلب واصل من أدهم أن يحضر نظارته من الطابق الثاني، ثم خرج ورائه واستوقفه قائلا:

- لماذا تبدوا عليك بعض الإنزعاج هذا عيب؟

- ما هذه الطريقة يا بابا!؟... لماذا لم تسألني؟

- قاطع واصل إبنه: اسمع الكلام وسأشرح لك بعدين. لن نزوجها الآن، فهمت أم لا؟

إستجاب أدهم على الفور، أراد واصل أن يعطي الفرصة لفريدة زوجته لتعرف موقف سامح، فهذه الطرق لا تقوي عليها الرجال. فالخطة كانت معدة من قبل.

- دخلت فريدة على سامح وهى تحمل الشاى، قائلة: ما رايك في هدي يا سامح؟

- إرتبك سامح وأجاب: ما شاء الله ربنا يبارك فيها، أدب وأخلاق وجمال.

- يعني تنفع تكون عروستك؟

- الخميس القادم سأكون انا وعائلتي هنا لنخطبها.

- ضحكت فريدة بصوت عالي، رد غير متوقع وسريع: ولكن لى طلب آخر يا حبيبي.

- أمرك يا ماما (أول مرة يقولها).

- هدي بنتي لا أطيق بعدها عني، وشقتها هنا معدة بأحدث الأجهزة إلا الأشياء البسيطة... ما ريك؟

- ما رأيك أكون هنا الثلاثاء القادم قبل الخميس؟

- ضحكت فريد وطلبت منه أن يكتم الخبر عن واصل وأدهم، فهم لا يعرفون، فقط خلي والدتك تتصل بي وأنا ارتب كل شيىء.

التقط واصل الخيط بالموافقة التامة فقد ضحكت مرتين، وبمجرد أن دخلت عليه عرف انه موافق وسعيد.

وجه واصل حديثه إلى سامح بأن والده جاء له في المكتب لكي أبحث لك عن عمل: أنت مثل إبني تماما، حاولت كثيرا وإتصلت بأعلى المستويات، إلى ان حصلت لك وظيفة ممتازة في شركة إستثمارية كبرى، بمرتب جيد.

إستغرب سامح فهدف أى شاب أن يعمل في الحكومة، حتى بمرتبها البسيط، فهى أمان، متبعا المثل المنتشر بين العامة، (إن فاتك الميرى تمرمغ في ترابه).

ولكن واصل أزال هذا الإستغراب، قائلا: مرتب الحكومة الأيام دي لايفتح بيت يا إبني، ومرتبك داخل الشركة الإستثمارية ثلاث اضعاف مرتبك في الحكومة، بحسبة بسيطة أن تعمل فقط عشر سنوات فى القطاع الخاص بمثل ما تعمل ثلاثون عاما في الحكومة، فأيهما أفضل؟

أبدى سامح تفهمه وسعادته لهذا العرض.

من السهل على واصل أن يحصل له على وظيفة حكومية ولكنه خطط ليظل سامح تحت قبضته، فهاتف واحد يستطيع أن ينهى عمله إذا تمرد وأعلن العصيان، وبهاتف أخر يستطيع أن يزيد من راتبه.

شكرسامح عمه واصل وأنهي اللقاء بالسلام على ماما فريدة، وصاحبه أدهم إلى الباب، بينما راقبته هدى من وراء الشباك وتفحصنه، فلم يخطر على عقلها ذات يوم أن يكون سامح زوجها.

وعندما غادر سامح أعلنت هدى رفض العريس وكادت تبكي، وإرتفع صوت أدهم رافضا هذه الزيجة.

أخذت فريدة هدي وجلست معها تتحدث بهدوء، وقالت لها:

- زواجك ليس اليوم، ولن نفعل شيء دون موافقتك... هكذا هدأت فريدة من روعها وذكرتها بأخلاق سامح وأدبه وطيبة قلبه، مضيفة أنكما ستزوجان في بيتنا وسيعاملك أحسن معاملة... أيهما أفضل أن تتزوجي رجل لا

يهتم بك أم من يحبك ويعطف عليك... جدتى كانت تقول لى ذلك وانا الآن أقول لك وأنصحك يا حبيبتي، إنك متمردة وعصبية ولن يسمح رجل في مستوانا أن تنفعلي عليه، ربما يتطاول عليك بالقول واليد... إهتز جسم هدى بمجرد ان سمعت ذلك فبدا عليها بعض الإقتناع.

أما أدهم فجلس مع والده وتناقشا، وأقنعه بأن هدى ستفشل لو تزوجت غير سامح وخارج البيت، ستعود مطلقة ونواجه العذاب بعد ذلك، فالمراة المطلقة مشكلة كبيرة في البيت، أما سامح فهو صبور وسيتحملها، وتحت أيدينا لا يستطيع أن يخرج على النص، عليك فقط أن تعامله جيدا.

عاد سامح للبيت مزهوا بنفسه كأنما كسب ورقة اليانصيب الدولارية وأبلغ والده ووالدته، فبدا عليهما السرور وكادت عفت والدته أن ترفع السماعة وتتصل بفريدة فهى فرصة لا تعوض ويجب إقناصها، ولكن زوجها أشار عليها بأن تصبر إلى الصباح حتى لا تبدو الأمور أننا متعجلين إلى هذا الحد.

وفي الصباح... إتصلت عفت بفريدة وتبادلا الحديث عن الصحة والحياة، ثم إقتربت من فكرة زواج سامح إبنها من إبنتها الجميلة هدي ربة الصون والعفاف، وأخذت تسوق إبنها لدى فريدة وتحدثها عن أدبه وأخلاقه العالية وطيبة قلبه وتدينه، ثم طلبت تحديد موعد لترى عروستنا الجميلة، فاقترحت عليها فريدة بعد أسبوع.

والحقيقة أن فريدة أرادت فرصة لتهيىء إبنتها هدى على العريس، والبيعة التى إشتراها لها واصل والدها، هكذا بدأت البيعة...

جلس يسري بجوار زوجته وهى تتحدث في الهاتف مع فريدة يلقنها كما يلقن الممثل على المسرح حتى إنتهت المكالمة...

- يسري: شفت إبني يا عفت، أرسلته لواصل ليحصل على وظيفة، عاد ومعه شقة وعروسة ووظيفة في شركة إستثمارية كبرى.

- الولد ده طالع عفريت زي أبوه.

نظرت عفت إلى عينيه، وحركت شفتيها يمينا ويسارا بإستهزاء، فيسري لم

يعد عفريتا كما يدعى، فقط كلام وبس.

تجاهل يسرى حركات عفت الإستفزازية، وأخبرها أن تحضر له الخميس القادم أكلة حمام محترمة.

- عفت: ملوش لزمة الحمام نوفره أحسن.

شعر يسري بالإهانة ردعليا بغضب:

- إحترمي نفسك بقى يا ولية.

***

(٢٠)

في صالة كبيرة مكيفة وعدد من الكراسي الفاخرة، طبق كبير من الفاكهة في المنتصف، بحيث من يرغب أن يتناول بعضها عليه أن يسير مسافة ما أمام الحضور، بحيث يصعب أن يسير مرة أخرى إلى المائدة منعا للإحراج، هكذا كان المكان معد لطبق واحد يكفي لأكثر من مائة زائر في اليوم.

في فيلا النائب أحمد العلايلى جلس واصل ومعه بعض سماسرة الإنتخابات ينتظرون النائب لوضع الخطة الإنتخابية، فقد إقترب موعد الإنتخابات وبدأ التحضير لها.

نزل النائب فوقف الجلوس وتبادلوا التحية والثناء على النائب، فبعد ذكر ما شاء الله أثنوا على صحته الممتازة، ووجهه الذي مثل القمر، وذكائه الخارق، وقدرته على حسم الأمور.

شكرهم النائب على هذا الود، هو يعرف أنهم كذابون ولكن هذه النوعية الذي يحرص عليها فلا سبيل له بالتعامل مع الشرفاء.

- بدأ النائب كلامه قائلا: هذه المرة تختلف عن كل مرة، أعرف أني ناجح أكيد، ولكني أريد ان أحصل على أكبر نسبة من الأصوات لأني مرشح لمنصب مهم في المجلس، وأريد ان أدخله مكتسحا كل الأصوات تقريبا.

- قاطعه واصل قائلا: هذا خطأ، يجب أن نترك مساحة للمعارضة، وأخشى إذا جمعنا كل الأصوات أن تتفتح الأعين علينا، ففي أرقى الدول الديمقراطية يفوز المرشح بنسبة بسيطة، وفي حالتنا نستطيع ان نخرج النتيجه ٧٥٪ حتى تبدو منطقية. الدورة السابقة جعلناها ٦٥ ٪، لامانع هذه المرة أن تكون ٧٥٪.

أثنى الحضور على رأى واصل، ولكن النائب أكد عليهم أن هذه المرة تختلف، الحزب لا يريد معارضة في المجلس مثل السابق، هناك تغير كبيرة في البلد، ونخشى أن تعيقنا أو تحدث بعض الإزعاج لنا، لذا يجب أن نخرج بإنتصار ساحق. نريد ان نصيبهم بإحباط قاتل لا يفيقوا حتى يحدث التغير، بعدها نسمح لهم لشغل بعض الأماكن حفظا لماء الوجه، ولكن هذه المرحلة لا تتطلب

أن نعطيهم اية وجه ويجب أن نحسم أمورنا كلها.

- قاطعه أحدهم: ولكن منافسك له شعبية كبيرة وحسم النتيجه سوف يثير الشكوك.

- النائب: أعرف ذلك ولكن الناس تعرف كل شيء، لذلك يجب أن يكون اللعب على المكشوف دون أن نخشى شيئا.

- اقترح واصل على النائب بان تكون الخطة كالتالي: اللجان التي بها شعبية كبيرة للمنافس يتم تحديدها أولا، ثم نرسل خمسة من رجالنا عند كل لجنة، وإذا اشتدت اللجنة لصالح الخصم يبدأ رجالنا بالتناوش فيما بينهم ثم صوت عالى، هرج ومرج، إشتباك بالأيادي، ولا مانع أن يضرب أحدهم ضربة تخرج بعض الدم ثم تاتى قوات الأمن وتغلق اللجنة ساعة أو ساعتين لفض المعركة، وتنظم الدخول بعد الاتفاق مهم وتتولى هى الإشراف والدخول، عند إذن تتطاير الأخبار أن هناك معركة كبيرة عند اللجان التى تم تحديها من قبل، مع صوت إسعاف من المستشفي يجوب البلد، حينها سيمتنع الناس عن الذهاب إلى اللجنة خوفا على حياتهم وخاصة النساء.

- النائب: أنت داهية بكل المقاييس يا واصل. تشعرني بأن أمك ولدتك في لجنة.

ضحك الحضور وعلق أحدهم: هذا لا نستطيع أن نفعله في كل الدوائر.

أجاب واصل: نعم، ولكن الخطة لم تنهى إصبر، ضحك الحضور مرة اخرى، وأكمل:

- هناك لجان يجب أن نحصل على كمية من ورق الإستفتاء ونحرقهم، فإما أن يدخل الناخب ويتظاهر انه يضع الورقة في الصندوق ويضعها في جيبه أو أن يضع ورقة أخرى مكانها، وعند الفرز نشكك في عدد ورق الصندوق غير المكتمل، وبالتالي أصبح هناك نسبة عجز في الصندوق بعد حرق بعد الأوراق، فيقرر القاضى إلغاء اللجنة.

جميل جدا هذه الخطة يا واصل، وعلينا أولا تحديد اللجان التى بها كثافة إنتخابية لصالح المنافس، ثم إختيار الرجال الذين يديرون المعارك الوهمية، والإتفاق مع بعض رجال الإسعاف.

***

(٢١)

ليلة البطولة... الساعة الثانية عشر مساءً، كابتن توفيق يطل من شرفته الصغيرة في إنتظار حازم الذي لم يأت بعد، وهاتفه الجوال غالبا ما يكون بدون رصيد، لذلك لم يكن من عشاق حمله، بدأ يطوف الشقة في محاولة لإضاعة الوقت بدون فائدة.

بحث عن هاتف حازم وأخرج منه رقم مينا وإتصل به فأخبره أنه كان في نادي المركز وتركه في حدود الساعة الثامنه مساءً.

ذهب توفيق إلى النادي لعل ابنه مازال يتدرب هناك فلم يجده، عاد إلى البيت، فعاود الإتصال على مينا الذي شعر بأن هناك شيئا ما حدث.

القلق ينتقل إلى بيت رشا، لحظات خوف تلوح في الأفق، والخبر يتسرب إلى الشارع، وكافتريا الشباب، وقهوة المعلم زعتر، الجميع كان مهيئا لأن يسمع صوت المذيع بأن حازم توفيق إبن شارعهم فاز ببطولة الجمهورية، الحلم على وشك الضياع والعائلة تنتظر أسفل البيت.

إتصل مينا بسامح ونادر يسألهما عن حازم بدون فائدة، الشباب يبحثون في المستشفيات القريبة لا أخبار جديدة.

مينا يخبر والده بأن حازم مفقود والبطولة ستقام صباح اليوم، فيجري بعض الإتصالات بمعارفه، ، فوالد مينا كان موظفًا بوزارة الخارجية قبل خروجه على المعاش .

الساعة تدق الرابعة والنصف، ووالد مينا يخبر كابتن توفيق بأن حازم في مديرية الأمن متهم بحيازة مخدرات والإعتداء على ضابط شرطة أثناء مهام عمله.

صدمة، خوف، توتر، أعصاب أوشكت على الإنهيار، وتجمهر أهالى الشارع عند المديرية عند سماع الخبر، الساعة تقترب من الخامسة والنصف فجرًا والعدد يتزايد أمام المديرية من الأهالى، إتصالات في كل مكان بدون فائدة حتى الصباح ، البطولة تبدا الساعة التاسعة.

إستطاع والد مينا أن يدخل المديرية ليلا ويقترب من غرفة الحجز، ومن وراء شباك الحجز وقف حازم يروي ما حدث:

- كانت الساعة التاسعة من مساء ليلة البطولة، خرجت من النادي متجها إلى البيت وركبت سيارة سرفيس، دقائق وقفت السيارة أمام كمين شرطة وطلب الضابط أوراق السائق ورخص السيارة، ثم أمر بإنزال الركاب لتفتيش السيارة، وصعد عسكرى ونزل ومعه قطعة من الحشيش مدعيا أنه وجدها أسفل الكرسي الذي كنت أجلس عليه فأنكرت ذلك.

عاملني الظابط بطريقة غير لائقة فطلبت منه أن يعاملني بالقانون وبمجرد أن سمع هذه الكلمة إلا وجذبني وإنهال عليا ضربا، ووضع الكلابشات في يدي وأخذني إلى مديرية الأمن وتم تحرير محضر حيازة مخدرات والإعتداء على ضابط شرطة أثناء ممارسة عمله، وتم حجزي للعرض على النيابة صباحًا.

خرج والد مينا من المديرية وأبلغ كابتن توفيق بالواقعة ونصحه بإحضار محامي... وفي الصباح ذهب توفيق إلى مقر البطولة محاولا تأجيل مباراة حازم لآخر الجدول، وفي حوالي الساعة الثامنة وخمسة وأربعون دقيقة قابل لجنة الحكام ولا أحد يصغي إليه رغم توسله.

الساعة التاسعة في ملعب الجودو يقف الخصم ومعه الحكم الذي ينادي على حازم توفيق لا مجيب، والحكم ينتظر انتهاء الوقت القانوني، وكابتن توفيق يقف بجوار الباب لعله يأتي ولا يتمالك أعصابه فالحلم يحتضر، ورشا تقف بجواره في حالة يرثى لها، تحاول تهدئته،رفع الحكم يد اللاعب الخصم معلنا نهاية الحلم وخروج حازم من المنافسة بالإنسحاب.

وما أن أنزل الحكم يد اللاعب إلا وسقط توفيق على الأرض، ورشا تحتضنه تحاول إسعافه، سيارة تنقله إلى المستشفي، خفقان قلب لا يتوقف، ماء يخرج من فمه، احمرار الوجه والجسد كوهج النار في صيف حار، تجمد الدم في الجزء الأيسر من الجسم وأصيب بشلل نصفي.

جاء تقرير مستشفي القصر العيني أن توفيق عبد الصمد مصاب بشلل نصفي في الجانب الأيسر من الجسم لذلك ينصح بالإسراع في علاجه والإنتظام في جلسات العلاج الطبيعي.

بعد إتصالات عديدة وزيادة عدد الأهالى في الصباح، علم مدير الأمن بتجمهر الشباب والأهالى وأن الموقف يزداد صعوبة، وأن الصحف وشبكات التواصل الإجتماعى تلقت خبر القبض على اللاعب حازم توفيق بطل القاهرة ثلاث مرات ومرشح للفوز ببطولة الجمهورية وأن المبارة تقام اليوم، فأمر بعمل محضر تنازل من قبل ظابط الواقعة بعد تقديم حازم الأسف والإعتذار.

وأما تهمة حيازة المخدرات فليس في مقدر أحد إلغائها، فتم تحويل حازم إلى النيابة التي حولته إلى المستشفي لمعرفة إذا كان يتناول المخدرات أم لا.

وأمام النيابة دافع المحامي قائلا: قطعة الحشيش المثبتة في محضر الضبط ليست ملكه ولم تضبط في جيبه بل وجدت على الأرض، فهذا أمر مشكوك فيه، والقاعدة القانونية تقول (أن الشك يفسر لصالح المتهم)، كما أن حازم توفيق لاعب رياضي معروف وحاصل على بطولة القاهرة ثلاث مرات من المستبعد جدا تعاطيه المخدرات، وبما أن نتيجة العينة التى اخذت من دماء موكلي أثبت خلوها من أية مواد مخدرة لذلك ألتمس من سيادتكم الإفراج عن موكلى من سراي النيابة. وأمرت النيابة بإخلاء حازم توفيق من سراى النيابة وحفظ أوراق القضية.

وفي المستشفى يجلس حازم تحت أقدام والده يبكي بكاء شديدا، يمسح بيده على وجهه ويحتضنه، فقد إنهار حلم الأب وصعب الطريق إلى الأكاديمية بفقدان البطولة.

والدته لم تستطع أن تتحرك من الصدمة، لكن امتنعت عن دخول المستشفي لتجنب تحمل أعباء زائدة والوضع لا يحتمل، فآثرت على نفسها أن تتحمل التعب والمرض وتجلس في البيت وسط الجدران في لحظات سكون قاتلة وحزن عميق بعد أن أبى الفرح أن يدخل هذا البيت.

ما أصعب الأيام القادمة فقد أصيب زوجها بشلل نصفي، كل الأحلام إنهارت، كيف يتزوج حازم حبيبته رشا؟

خسرنا كل شيء... من أين نأتى بعلاج توفيق؟... هل يتحمل صدمة ضياع البطولة؟... هل يتحمل الظروف الجديدة أم يذهب في طريق يصعب العودة

فيه؟... ماذا نفعل، فالبيت معرض للإنهيار في أى وقت ويحتاج إلى تنكيس عاجل... الفقر بيننا وبينه ثأر قديم.

في العاشرة مساء أمام التلفاز يطالع الشباب على الكافتريا وفي البيوت، برنامج التوك شو على قناة خاصة، حازم سيتحدث، فالصحافة والإعلام تلقت الخبر بفضل مينا ووالده الذين حثاه ألا يصمت على حقه وأن يتكلم ويصرخ ويشرح معاناته وضباع حلمه بسب خطأ في التقدير.

محاور البرنامج يتعاطف مع حازم وينفعل، حالة غضب تعم المنطقة، ردود فعل ساخطة، واتصالات بالبرنامج تعبر عن غضب الشارع.

في مشهد آخر يجلس واصل في البيت يتابع الأحداث، يخشى أن يذكر إسم إبنه لكنه يعرف كيف يرد فأدهم ليس له علاقة بأى شيء، فقط مجرد أنه مشترك في البطولة وإبنه فاز اليوم، كما أن المباراة الأولى لم تكن أمام إبنه، لا دليل إطلاقا على كلامه إذا أراد أن يتكلم، الكل سيتهمه بالخيال الواسع إذا أراد أن يوجه الإتهام إلى أدهم.

إنتهى البرنامج وإنطفات الأنوار، وكأن شيئا لم يكن.

وقفت سيارة أمام بيت حازم ونزل حازم والحاج صابر منها، وفتحا الباب لحمل كابتن توفيق بعد أن توقف قليلا على الحركة، تدافع الناس لمساعدة حازم في حمل كابتن توفيق وتسابقوا لمواساته.

أول من دخل عليه الحاج علم الدين، قرأ بعض آيات القرآن الكريم وذكره بجزاء الصابرين في الأخرة، وان الرضا بقضاء الله وقدره من أعظم درجات الإيمان عند الله عزل وجل.

إنتهت البطولة... وكانت المفاجأة أن أدهم لم يفز ببطولة الجمهورية للوزن المتوسط رغم كل المحاولات والترتيبات الظالمة والخبيثة ، فقد إصطدم في النهائي بلاعب صاعد لم يكن في الحسبان كان بمثابة الحصان الأسود للبطولة.

قاسم على، لم يكن طالبا في كلية التربية الرياضية بل من عائلة رياضية معروفة وقفت وراه بالتدريب الشاق والتمارين الرياضية الصعبة حتى صعد

للنهائي، وإستطاع أن ينتصر على أدهم بسهولة، وفاز قاسم ببطولة الجمهورية للجودو للوزن المتوسط بعد تغلبه بالقاضية على أدهم. وساعد على ذلك أجهزة الإعلام وشبكات التواصل التي ألقت الضوء الكامل على البطولة بعد حادثة حازم توفيق وتم تغطية البطولة وبث تقاريها بشكل مكثف على الهواء مباشرة. وفاز مينا ببطولة الجمهورية في وزن المتوسط لكن الفرحة لم تكتمل بسبب صديقه حازم.

***

(٢٢)

بدأ الحاج صابر إنهاء إجراءات المعاش لأخيه وسط روتين طويل وعقيم، إستطاع بعد معاناة في التأمين الصحي أن يحصل على صرف بعض الأدوية، بعدها بأيام تحسن كابتن توفيق وأصبح بوسعه أن يقف ويتحرك ولكن بصعوبة. ونصحه الطبيب نصحه بصعود السلم حتى لو مرة واحدة يوميا.

لم يتركه أهالى الشارع، كل يوم كان يصعد إليه أحدهم ويجلس معه ويتسامر لينسيه بعض آلامه، حتى أم عوض السيدة الضعيفة الفقيرة تعاطفت معه وذهبت إلى المعلم زعتر وعرضت عليه أن يجلس كابتن توفيق وردية الصباح على الكاشير في المقهى، فزعتر غالبا ما يشتكي من وجود عجز بالصندوق فترة الصباح.

إقتنع المعلم زعتر ووجدها فرصة أن يستعين برجل أمين ويطمئن على دخله القليل الذي يأتي من القهوة، وتمني أن يوافق كابتن توفيق.

لم تكتف أم عوض بذلك، بل ذهبت إلى الحاج علم الدين وأوصته بأن يتبرع ١٢ رجلا بمبلغ مائتي جنيه فقط في العام، يأخذها المعلم زعتر ويضعها كل شهر فوق الراتب دون أن يعلم كابتن توفيق، وبدأت بنفسها وأعطته ٢٠٠ جنيه ليسلمها إلى المعلم زعتر يضعها فوق الراتب، أرادت أن ترد بعض جميل أهل شارعها وترفع عن كاهلها الحرج الذى أصابها من مساعدتهم إياها.

لم يأخذ الحاج علم الدين منها سوى مائة جنيه، وقال لها يكفي هذا المبلغ فقط لأن ظروفك لا تحتمل وشكرها على صنيعها.

وفى بيت كابتن توفيق جلس حوله أخوه صابر والحاج علم والمعلم زعتر، وأصروا أن ينزل معهم على القهوة كما كان يجلسون قديما وتنفيذا لأوامر الطبيب بصعود السلم مرة واحدة في اليوم.

نزل كابتن توفيق معهم وجلسوا على القهوة محاولين إقناعه، أخبره المعلم زعتر أنه كبر في السن ويحتاج من يساعده.

- أخشى أن يسبب هذا مشكلة نفسية لحازم... هكذا رد توفيق.

- الحاج علم الدين: اترك لي حازم أنا كفيل به، أنا ونادر إبني سنقنعه بذلك وسنقول له ان المعلم زعتر هو الذى طلب من كابتن توفيق مساعدته على إدارة المقهى.

في معرض السيارات المستعملة، نادر يطلب حازم ليناقشه في أمر ما، وعندما وصل نزل الحاج علم من البيت وجلسا يحاولان إقناع حازم الذي أبدى اعتراضه لعمل والده كابتن توفيق آخر عمره في مقهى.

ذكره الحاج علم بإن جلوس والده في البيت سيزيد الأمر صعوبة من حيث التفكير والحزن الدائم، والعمل ينسيه ما حدث. فشعور المرء بأنه غير قادر على العطاء يقود صاحبه إلى الإكتئاب والعزلة، والعامل النفسي مهم جدا لعلاجه. ولا تنسى نصيحة الدكتور بأهمية أن ينزل السلم مرة واحدة على الأقل يوميا، وهل من المعقول كلما أردنا رؤيته نصعد إلى البيت ونجلس معه بالساعات، وأنت تعرف ان للبيوت حرمة.

وافق حازم أمام خجله من الحاج علم، لكن الحزن لم يجد مكانا في قلبه ليمكث فيه، فلا مكان لألم جديد.

- الحاج علم: سنذهب مع الحاج صابر إلى يوسف والد مينا لنشكره على موقفه، فالرجل تفاعل معنا وظل يبحث عنك، وذهب للمستشفي ولم يتركنا لحظة واحدة.

- تدخل نادر قائلا: كلنا نمر بظروف سيئة حازم، لايوجد أحد في هذه الدنيا مرتاح، لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في كبد.

حاول حازم أن يخرج من الموضوع، فقد إستسلم للأمر وإنتهى.

- كيف حال المعرض يا نادر؟

- تعبت كثيرا في إستخراج الأوراق بسبب الروتين الحكومي الذى يؤدي إلى إنهيار بطيء للدولة، لا تشعر به الدولة إلا عندما تقترب من خط النهاية، فكل يوم يستفحل أكثر، وسنجد أنفسنا بعد سنوات أمام شبح قاتل ومدمر لا نستطيع مواجهته أو هزيمته.

في الدولة المتقدمة مجرد إخطار إلى وزارة التجارة تبدأ شركتك في العمل وكل الاوراق تنتهي إلكترونيا، فالحكومة الإلكترونية تقلل الفساد إلى حد كبير، ورغم أن مصر لديها إمكانيات تؤهلها إلى ذلك ،ما زالت مصرة على هذا الروتين، ولا نعرف السبب الحقيقي لهذا: هل الخيانة؟... هل حجم

المستفيدون من الفساد كبيرة إلى هذا الحد؟

ما يهم موظف الدفاع المدني مثلا هو القسيمة التي سددت بها الرسوم وتاريخ الصلاحية على الإستيكر على الطفاية، مجرد ورقة. ولا يهمه إذا كانت الطفاية صالحة أم لا.

وما يهم موظف التأمينات إسم الشخص المؤمن عليه، لا يعنيه إذا كان يتقاضى راتبًا أم لا، وهل يعمل من الأساس أم مجرد إسم لإستكمال الأوراق. بعدها يقوم صاحب المشروع بفصل المؤمن عليه بعد قيد إسمه في التامينات، مجرد إجراء حتى تستكمل الإجراءات بعدها يتم الفصل.

وكذلك موظف الضرائب لا يمر عليك إلا إذا كانت هناك مصلحة شخصية، ومن على مكتبه يقوم بتقدير مبلغ الضرائب عليك ولا يعرف إذا كنت ربحت أم لا، وإذا ربحت ما حجم هذا الربح؟... مجرد تقدير عشوائى بعدها يفاجأ صاحب المشروع بمبلغ لا يستطيع سداده فيلجأ للقضاء وتمكث في القضاء شهور وشهور ويتم تخفيض المبلغ بعد الحكم القضائي، ثم يستنف صاحب المشروع على المبلغ، وتمكث شهورأخرى في المحكمة إلى أن يتم تخفيض المبلغ مرة أخرى، ثم يطلب صاحب المشروع تقسيط المبلغ على شهور. ويستمر هذا العذاب والروتين قضايا ومحاكمات ورتين لا ينتهي.

على الجانب الأخر الشركات الكبيرة وأصحاب النفوذ لا يدفعون شيئا يذكر، الضرائب تحصل من البقال والقهوجي والكبابجي ومحل بيع الملابسط بالتقسيط، وغير ذلك من الذين يجمعون قوت يومهم يوما بيوم.

ما كل هذا الفساد!؟... ما هذا العبث!؟... من يترك الأمور تسير هكذا!؟

- حازم: أعتقد أن الأمور لن تظل هكذا طويلا، مصر تسير نحن الأسوأ، لابد أن الناس ستخرج يوما فالضغط يولد الإنفجار.

- نادر: ربما يكون من أعمالنا سلط علينا، أو كما قال تشرشل: الشعوب تستحق من يحكمها.

- حازم: لا يا نادر،نحن نستحق أفضل من هذا بكثير.

***

(٢٣)

في الصباح إستقيظ حازم وساعد والده لنزول السلم، وجلس توفيق مكان المعلم زعتر وبدأ يباشر عمله، شعر بالخجل في بادىء الأمر، ولكنه مع مرور الوقت أصبح الوضع أسهل.

حضر المعلم زعتر حوالي الساعة الثالثة عصرا، فوجد كابتن توفيق يعتلى منصة الكاشير فمازحه: بسم الله ما شاء الله أنت معلم يا معلم.

- توفيق: أهلا يا معلم زعتر تعالى مكانك تفضل.

- لا أنا جلست على الكرسي ده ثلاثون عاما كفاية بقي، عاوز أشوف أشغال تانية، أنت جيت في وقتك يا كابتن.

شعر توفيق بالراحة من طريقة معاملة زعتر له، وتأكد أن المعلم زعتر في حاجة فعلية له، وأن عمله فى المقهى ليس مجرد صدقة من المعلم زعتر.

- توفيق: فتحت المقهى من الساعة السادسة والنصف بدلا من التاسعة حتي نستقبل الموظفين والمراجعين، فهناك من يستقيظ مبكرا ليتناول الفول والفلافل ثم يذهب إلى عمله، وهناك موظفين بمجرد التوقيع على كشف الحضور ينصرف إلى المقاهي أو إلى عمل آخر، وأريد ان أقترح عليك بعض الإقتراحات يا معلم.

- تفضل.

- القهوة تحتاج إلى تجديد حتى تستمر في العمل ويزيد الدخل، الناس تشكوا من الكراسى والطربيزات والصواني القديمة، كما أن موظف صحة ممكن يعطيك محضر ويغلق القهوة.

- أخشى أن أقوم بكل هذا ولا يزيد الدخل، التجديد سيكلف مبلغًا كبيرًا، أما موظفين الصحة فأنا أحسن التعامل معهم.

- لن تتكلف إلا شىء بسيط ونصرف دخل وردية الصباح على التجديد، نبدأ بالمروحة ثم معدات الشاى ثم الكاسات ثم غطاء بلاستيك جديد على الترابيزات ثم الكراسي ثم الدهان ثم التلفاز وهكذا.

فرح المعلم زعتر بتفاعل كابتن توفيق معه في المقهى ووافق وقلبه يملئه الفرح. ثم قال له:

- أريد أن أهدم بيتي القديم وأبنيه، لأنه متهالك منذ زمن، ولكني إذا هدمته أخشى من أن تمنع بعض القوانين من بنائه أو التقليل من مساحته وإرتفاعه. فأنا أنوي أن أبنيه سبعة طوابق، والقانون لايسمح بذلك لأنه في شارع جانبي، وهذا يعني أن ابني فقط ثلاث أدوار.

- أنت تريد بناء بيت في حارة صغيرة بإرتفاع سبعة طوابق، هذا يعني لو حدث مكروه للبيت لا قدر الله لن يستطع أحد إنقاذك لصعوبة وصول الحماية المدنية والدفاع المدني والمطافىء، كما أن التربة لا تستحمل كل هذا الثقل على البيت، نحن نحمل هذه الارض أكثر من طاقتها.

- دي حال البلد يا كابتن ولازم نعيش زيهم وإلا داسونا بالأقدام.

- إذا كنت مصرا فاذهب إلى إبراهيم عفريته المحامي، هو يفعل لك كل شىء وأنت في أمان، لديه حلول لكل شىء بطرق ملتوية، وله شبكة علاقات في كل الجهات، مجلس المدينة، الحي، التراخيص، لو إحتاجت موافقة هيئة الطيران المدني ستجده حاضرا.

- ضحك زعتر قائلا: أخشى أن تتكرر أحداث أمريكا في حارتنا، عندما ضربوا البرجين هناك، لذلك سأحترم رأى هيئة الطيران المدني فقط.

في المساء استدعى المعلم زعتر إبراهيم عفريته المحامي وأبلغه عن رغبته في هدم البيت وبنائه سبعة طوابق ولكنه يخشى من المجلس والجيران، فربما يجبروه على التراجع حسب التقسيم الجديد في المجلس، الذي يزيد من توسعة الشارع على حساب البيوت.

- المحامي عفريتة: لا تقلق نهائيا يامعلم زعتر، فمن مصلحة الجيران عدم الرجوع بالبناء لأنهم سيرجعون مثلك عندما يرغبون في البناء، فالجيران ليست مشكلة فقط يجب أن تستأذنهم من باب الود والجيرة. لكن هذا مخالف للقانون عقوبته تصل إلى السجن أحيانا، وفي كل دور مخالفة وقضية شكل ربما يكون مجموع قضاياك سبعة.

- ما الحل يا عفريته.

- في مثل هذا الوضع نلجأ إلى الكَحُول!

- الكَحُول؟!

- الكَحُول رجل غالبا يكون بلا أهل، لا تفرق معه سجن أو قضايا، ربما تكون حياته داخل السجن أفضل من خارجه، ليس من أهل المنطقة ومن الأفضل أن يكون من بلد بعيدة، وأما العنوان المكتوب في بطاقته فهو في بلد لا يعيش فيها ولا يعرفه أحد هناك، وعندما تصل القضايا إلى العنوان المكتوب في البطاقة لا يعرف عنها، ونكتب له عقد شراء البيت بشهادة اثنان من أهل المنطقة، البيت الذى لا يعرف مكانه فقط يوقع ولا يسمح له بقراءة العقد وتفاصيله، وزيادة في الاحتياط نأخذ منه توكيل عام بالبيع والشراء وأخذ الأموال وإستلامها وإيداعها بالبنك وسحبها وإستخراج التراخيص اللازمة للبناء ومراجعة الدوائر الحكومية. بعدها نستخرج ترخيص الهدم بإسمه باستخدام التوكيل العام الرسمى، بعدها نستخرج ترخيص البناء بطريقة سليمة ثم نبدأ بمخالفة البناء في الرخصة وبناء سبعة طوابق بالتقسيم الذى تريده وليس تقسيم مهندس الحى.

- هل يتركنا الحي نبني مخالف؟

- لا تقلق فعلاقاتي كثيرة هناك وفي كافة الدوائر وأضمن لك صمتهم حتى تكمل بنائك ثم يعملون محضر واحد بالمخالفة كلها بدلا من كل دور محضر، ولكن يجب أن ندفع لهم مبلغا من تحت الترابيزة لينتظروا حتى تكمل البناء.

- مفهوم وجاهز. الترابيزات في المقهى كتيرة لا تقلق وكمل يا عفريته.

- بعد تحويل القضية إلى المحكمة سيكون المتهم هو الكَحُول الذي إشترى منك وقام بالبناء، ولكنى لا أتركه أبدا لأني أحتاجه دائما ومنعا للمشاكل، وأترافع في قضيته بناءً على التوكيل العام الذى أعطاك إياه أنت يا معلم، وغالبا ما تنتهى القضية بغرامة بسيطة أو السجن أو الغرامة فقط ثم نستأنف الحكم، وإذا حكمت بالسجن فلا أحد يعلم مكانه ولا الكَحُول نفسه يعلم أن عليه قضية، وفي الآخر ننهي إجراءات نقل الملكية إليك

مرة أخرى بعد الانتهاء من إستخراج عدادات الكهرباء والمياه. وفي المقابل الكَحُول يأخذ مبلغ بسيط لا يذكر.

- المسؤولون يعلمون شيئا عن هذا؟

- يعلمون كل شيء، المهم أن تدفع من تحت الترابيزة طالما الكل مستفيد لا أحد يتكلم، وإذا تكلم أحد لا أحد يستمع له.

- هل تعرف كحول يا عفريتة؟

- نعم ولد وتربي في الشرقية ويسكن في الإسكندرية وقمت بتغير عنوانه إلى الصعيد.

- ممتاز.

- سأحكي لك بعض نوادر فصيح الكَحُول يا معلم زعتر.

- قول يا داهية قول.

- كان يعمل حارس أمن في حديقة الحيوان بالزقازيق التابعة لوزارة الزراعة، وعلم مدير الحديقة أن وزير الزراعة سيأتي في زيارة سرية للحديقة لمتابعة سير العمل، فجمع المدير العاملين وأخبرهم بوجود حالة طوارىء في الحديقة، كل واحد يؤدي عمله على أكمل وجه، وبالنسبة للحارس فصيح فقد وجه إليه القول قائلا: لا تسمح بدخول أيه فرد إلى الحديقة إلا بعد أن تأخذ كافة تفاصيله، وكرر عليه كافة التفاصيل يا فصيح.

فهم فصيح أن يأخذ كل التفاصيل عن زائري الحديقة، حتى يرضى المدير لعله يحصل على ترقية أو علاوة. وعندما جاء الوزير بدون الحرس الخاص به وحاول الدخول استوقفه فصيح.

- فصيح: ماأسمك؟

- الوزير: أمجد العثمان.

- فصيح: وإسم الدلع؟

- الوزير : كتم الوزير ضحكته وقال له ميجو.

- فصيح: وما إسم الأم؟

- الوزير بصوت منزعج: اللهم صبرك يا روح.

فصيح أصر على استكمال الاستجواب حتى يعرف البيانات التي يملاءها بما في ذلك غير المطلوبة لعله يحصل على رضا المدير.

- الوزير: إسم الأم لواحظ يا سيدي.

- فصيح: وإسم الدلع؟

- الوزير إنفجر الوزير من الغضب قائلا: ما دخل إمي بوزارة الزراعة؟، وما دخل إسم الدلع بتذكرة الدخول؟

- فصيح: والدك العثمان كان يدلع أمك في البيت أم لا؟

- الوزير: نعم.

- فصيح: يعني هناك إسم ثاني في البيت وهنا لا نعرفه، وعندما تدخل الحديقة يجب أن نعرف كل التفاصيل عنك، ربما تختفي بعض الحيوانات فتكون لدينا كل المعلومات عنك وعن أمك.

- الوزير: إحترم نفسك، أنا الوزير يا حمار.

- فصيح: أنت الوزير فعلا؟

- الوزير: نعم، أين مديرك؟

- فصيح: قبل أن تدخل للمدير أرجوك بلغ سلامي لأمك وأخبرها أني تركت العمل بسببها!

- عفريتة: هذه عينة الكَحُول يا معلم، هذا غير الأعمي والأصم والذى يعالج نفسيا.

- ضحك المعلم زعتر وقال لعفريتة: أنت مدرسة في الفساد، صدق من سماك عفريته.

***

(٢٤)

بدأ العام الجامعي الأخير لياسمين واشتد الصراع داخلها، كيف تستطيع أن تنفذ ما يطلب منها، كيف تكتب تقرير يكون السبب في سجن شاب وربما اعتقاله وتعذيبه، وكيف تواجه الموقف إذا ظهرت الصور ورأتها أمها المسكينة؟

حاولت ياسمين التهرب من كتابة التقارير لكنها فشلت بسبب إحكام القبضة الأمنية عليها، فبدأت تكتب تقريرها عن الجماعات الإسلامية وطريقة تفكيرهم وأماكن التجمع وأوقاته وأعدادهم وأحوالهم المعيشية ومصادر دخلهم، ووفي كل مرة كانت تتفادي أن توقع الضرر بأحد.

في كل مرة تكتب تقريرا أو تسجل إجتماع للطلبة بناء على أوامر الضابط تدخل بعدها في حالة نفسية سيئة، فقد للإنسانية، قيم تتهاوي، ضمير يحتضر، حتى فكرة الانتماء للوطن أصبحت غير واضحة المعالم، فما هو الوطن وما حدوده ولصالح من نعمل؟

فكرت أن تبلغ الجماعة بما حدث معها، لكنها تراجعت خوفا من أن يكون أحدهم يعمل مع الأمن، وتكون المصيبة أعظم، فكرت بأن تكتب تقارير غير مفيدة رغم قناعتها أن هذه الجماعات كانت على خطأ كبير، ووقعت في خطأ أكبر.

قرأت ياسمين كتاب (الطريق إلى جهنم) للدكتور مصطفي محمود، الذي جاء فيه (أكبر غلطة وقع فيها المسلمون هي الخلط بين الإسلام كدين وبين الحكومة الإسلامية كشكل سياسي ضروري، وإعتبارهم أن الإثنين شكل واحد لا يقوم الإسلام بدون حكومة إسلامية. وظنت كل فرقة أن تصورها لهذه الحكومة الإسلامية هو التصور الوحيد الذي أنزله الله، وما عداه كفر، وبدأ يضرب بعضهم بعضا على مسائل خلافية لا وجود لها إلا في أذهانهم، وربما كانت الحكومة المدنية أفضل، لنشأة من أى حكم سلطوي متعصب حتى لو زعم أصحابه أنهم إسلاميون. والإسلام له وجه إيماني يؤمن بالله وبالغيب... ولكن له أيضا وجه علماني يحترم الواقع ويؤكد حرية الفرد وحقه في الإختيار والرفض ويحترم العقل ويشيد بالعلم، ويحترم المنطق ويكره الزيف والنفاق، ولو كان تحت راية إيمانية .. وفي الإسلام سعة تغطي كل هذه الحاجات).

اقتنعت به بعد أن رأت أن هناك من الجماعة من كان يهدف إالى الوصول إلى الحكم مستغلا الدين إلى ذلك، ويقنع نفسه بأن ذلك في سبيل الله، هؤلاء يشكلون خطرا على النظام والبلد، بنوا إقتصادا قويا يحميهم ويدعم أفكارهم، وهناك من يسعى إلى منصب سياسي على حساب الضعفاء الذين يؤمنون به ويصدقونه، ليس لديهم مانع من التحالف مع الشيطان من أجل الوصول إلى هدفهم، وهناك من هو عبدا لفكرة الولاء والطاعة وصولا إلى الخلافة الإسلامية، الحلم الكاذب الذي يصدقه المغيبون.

الخطأ التى إرتكبته الحكومات أنها اصرت على غلق الباب أمامهم، فأصبح الإصرار على كسر هذا الباب هو الهدف والغاية، أفكارهم كانت كفيلة للقضاء عليهم دون تدخل الأمن، فقط إذا ما طرحت أمام الراى العام وقوبلت بالأفكار المعتدلة والإسلام الوسطي.

عهد الناس إلى هؤلاء أصحاب اللحى، بفض المنازعات، حماية أوراق الملكية الخاصة بهم، وحفظ أسرارهم، وأخذ الفتوى منهم، وحصل أصحاب اللحي على مكانة كبيرة في الشارع بسبب التعامل الخاطيء من قبل الدولة، واقتصر دور دار الإفتاء بالإعلان عن بدء شهر رمضان، وعيد الفطر وعيد الاضحى، وغاب دور الأزهر الشريف الذى يمثل منارة العالم في الإسلام الوسطي، شكك البعض في شيوخه وعلمائه بأنه موالين للدولة، وظهرت الجماعة المتشددة، وتسارع الفقراء والمهمشون والمراهقين إلى تصديق أفكارهم الهدامة، عم الياس هؤلاء الفئة فكثر الإرهاب.

***

(٢٥)

أوشك العام الجامعي على الإنتهاء، واقترب حلم رشا من أن تصبح معيدة في كلية التربية، وتجنبت التفكير في حازم والمستقبل إلى حد ما، راجعت دورسها بجد وإجتهاد، ظهر عليها الإجتهاد والتعب من طول السهر، والدها كان يشجعها بإستمرار، لكنها كانت تخاف دائما من أبناء العمداء ومدير الكلية ومن لهم نفوذ ويحصلون على تقدير منافس لها، لم يكن مستواهم في مستواها، لكن نتائجهم كانت بتقدير ممتاز مثل رشا أو جيد جدا.

ثمة شيء آخر كان يقلقل الحاج صابر شاكر، هو وليد الذى أصبح أكثر تشددا وسيطرت عليه مجموعة لا علاقة لها بالدين، تشكك وتحرم ما حلل الله، فدخل وليد مرحلة الخطر في تشدده وارتداء الزي الأبيض القصير وإطلق اللحية ولبس العمامة الملفوفة حول الرأس يطل منها ذيل في مؤخرتها.

وجد صابر سلاسل حديدية مخبأة داخل كرتون تحت سرير وليد وبجانبها زجاجات كيمائية ظن انها بعض زجاجات الملتوف الحارقة. فلم يصدق ما رأى، شعر أن وليد على وشك الموت برصاص الأمن أو بسيوف أصدقاء الشر أو السجن المشدد بسبب هذه الأفعال.

حكى صابر لصديقه علم الدين خوفه وقلقه على وليد، فكل يوم يزداد تشددا، والنقاش معه أصبح صعبا، لم يعد يسمع لأحد إلا لتلك الفئة الضالة، يدفعه طموحه أن يصبح أميرا لجماعة إسلامية، تواجه الحكومة وتكسب ثقة الناس وينظرون لهم على أنهم الصابرين الذين لايخافون في الله لومة لائم.

- علم: ماذا تريد أن أفعل؟

- صابر: تتحدث معه لعلك تقنعه.

- علم: لن يجدي الحديث معه، ولكني سأرسل له غدا في صلاة الظهر ابني نادر ليتحدث إليه فهو شاب مثله وربما يقنعه.

في زاوية صغيرة منعزلة، صلى نادر الظهر خلف الشيخ وليد، بعدها طلب منه أن يأتي معه لأمر هام.

ذهب وليد مع نادر على اعتقاد بأن نادر يريد أن يسأل عن بعض الأمور الشرعية، ودخلا معرض السيارات الخاص بنادر، فطلب وليد من نادر أن يغلق التلفاز.

- نادر: لماذا؟

- وليد: قد تظهر راقصة أو مشهد يغضب الله.

- نادر: غض البصر أو غير القناة، كما أنها قناة إخبارية فلا تقلق.

- وليد: التلفاز أفسد الناس.

- نادر: التلفاز مصدر لنقل الاخبار ووسيلة تعليمية وتوعوية سريعة، وأحيانا ترفيهية، أو لنشر الإسلام الوسطى ، وبالتالي هو جزء هام في حياتنا.

- وليد: لن نتقدم إلا بالرجوع إلى الإسلام.

- نادر: الصحيح أن نتقدم إلى الإسلام بمفهومه التقدمي التوعوي والإنساني، نحن لم نفهم الإسلام فهما صحيحا حتى نعود إليه، الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مناسب لكل العصور، أنظر قصة اليهودي الذى كان يضع القذروات كل يوم عند بيت الرسول، وعندما مر يوم وإثنين ولم يرى صلى الله عليه وسلم القاذروات أمام بيته فسأل عنه، وعلم أنه مريض فزاره في بيته ليطمئن عليه، أنظر كيف كان عمر رضى الله عنه يعدل بين الناس وملأ الدنيا عدلا. أما أنتم فتعاملون المسلم الوسطى بتكبر وتعالى، فكيف يكون تعاملكم مع غير المسلم وهم أصحاب هذه الأرض قبل دخول الإسلام.

- وليد: هذا لن يتم إلا ببناء الدولة المسلمة، دولة الخلافة.

- نادر: قبل أن تقيموا دولة الخلافة علموا الناس أن الكذب مصيبة كبرى في الإسلام، وأن الصدق أسهل طرق النجاة، وعلموهم إحترام إشارات المرور وإتباع النظام، علموهم النظافة وأن رمى القمامة في الشارع حرام شرعا، علموهم ثقافة الحوار وكيف تناقش مع من يختلف معك

في الرأى. علموهم أن ثقافة الإختلاف واجبة في الدين واللون والعرق والجنس، علموهم أن يقموا العدل ولا ينحاز إلى جماعة دون الأخرى من أجل مكاسب سياسية أو شخصية، ثم بعد ذلك فليحكم من يحكم، لا فرق بشكل وإسم الحكم بعدئذ.

- وليد: إذن أنت ترى النظام السائد هو الحل؟

- نادر: رفضى لأقصى اليمين ليس معناه الذهاب إلى أقصى اليسار، ومن يحقق العدل والحرية والتنمية في أى نظام بعدها فليحكم، هذا ما أقصده.

- وليد: جماعتنا تقيم الإسلام وتحرص عليه.

- نادر: ليس بهذه الطريقة ولا بهذا الفكر ولا بهذا الأسلوب.

هذه الجماعات ليس لديها حجة قوية أو برهان، كلما قبضت أجهزة الأمن عليهم وجدت معهم أسلحة وذخائر ودولارات وعملات أجنبية، لم تجد معهم مصحف أو مرجعا إسلاميا، إلى جانب العربدة النسائية بإسم الدين، فهم يبحون الزواج دون أية اوراق ثبوتية، هذا ليس إعتراضًا على طريقة الزواج لكنها تفتقر إلى متطلبات المدنية الحديثة، كيف ترضى لرشا أختك أن يأتى واحد يتزوجها بكلمة في مثل هذه الظروف، هذا دليل آخر على أنه يجب علينا التقدم إلى الإسلام وليس الرجوع إلى الإسلام.

ألم تفكر يا وليد من الذى يمول هذه الجماعات، ومن يبعهم الأسلحة ويدربهم عليها ويعطيهم الخطط والمعلومات والأجهزة السرية؟

بدأ نادر يخلل بعض العقد داخل وليد، دعاه إلى إعادة التفكير، فهو غير مقتنع بما يقوم به، لكنه يبحث عن شىء يبرر فشله.

- وليد: الآن فهمت لماذا جئت تصلي معنا في الزاوية، حسبتك تريدني في امر شرعي.

- نادر: أنت جارى ولك عليا النصيحة وأنا أحبك وأحترمك أنت والحاج صابر، ولا يعجبني أن يبقى والدك مشغول عليك طوال الوقت وهو يتعب

من أجلك، فبدلا من أن تحمل العبء عنه تضع حملا آخر على كتفه، إنه يخاف عليك من الطريق الذي تمشي فيه، أسمع كلامي وكلام والدك الحاج صابر وإبتعد عن هذه الجماعات.

- وليد: لا فائدة، الدين عنكم شيء ثانوى.

- نادر: صدق جيفارا حين قال (إن أبشع إستغلال للإنسان هو إستغلاله بإسم الدين لذلك يجب محاربة المشعوذين والدجالين حتى يعلم الجميع أن كرامة الإنسان هى الخط الأحمر الذي دونه الموت).

- وليد: أنت تسمع للملحدين والكفار؟

- نادر: علينا أن نسمع ثم نعقل ثم نفكر ثم نقرر. فلا تحكم على الأشياء قبل معرفتها. وأدعو الله ان ينور بصريتنا وأن يجمعنا على الحق والعدل.

إنتهى الحوار، وبدأ وليد يفكر في كلام نادر الذي ظهر أكثر منطقا.

***

(٢٦)

ذهب حازم الي الأستاذ يوسف والد مينا للإطمئنان على صحته وتقديم الشكر له لما أبداه من مساعدة وجهد خلال محنته.

- يوسف: كيف حال صحة كابتن توفيق.

- حازم: الحمد الله ولكنه يحتاج إلى علاج وجلسات، ونحاول أن نفعل أى شىء، إنه متمسك بتقديم أوراقى للأكاديمية ولا يرغب أن أبحث عن عمل لي الآن، هذه رغبته ورغبة والدتي وعلي أن أحترمها، وبعد أيام ستعلن الأكاديمية عن فتح باب التقدم لها.

صمت يوسف قليلا وفكر ماذا ستكون النتيجة إذا لم يتم قبول مينا وحازم في الأكاديمية؟

طلب يوسف من حازم صور من شهادات بطولة القاهرة الحاصل عليها ثلاث مرات، وشهادة التخرج وصورة البطاقة الشخصية، وفيديو المباراة الأخيرة التى فاز فيها ببطولة القاهرة، فظن حازم أن يوسف سيبحث له عن وظيفه فهو يحبه ويقدره، أو ربما يجد له هو ومينا واسطة لدخول الأكاديمية.

يوسف كان موظفا صغيرا بوزارة الخارجية، وعلاقاته خارج مصر أكبر من داخلها، حيث كانت طبيعة عمله في استقبال الوفود العربية والأجنبية القادمة إلى مصر. وأحيانا كان يرافق أحد الشخصيات الكبرى في جولة سياحية بعيدا عن الإعلام.

وأنهي يوسف حياته الوظيفية بالعمل بسفارة مصر في أمريكا، لكن علاقاته داخل مصر لا تؤهله إلى دخول إبنه الأكاديمية.

وعندما أعلنت أكاديمية الشرطة على حاجتها لطبة جدد في تخصصات الهندسة والطب والحاسب الآلى والتربية الرياضية، إستعد حازم ومينا لتقديم أوراقهما، وعند شراء الملف وجد حازم أن الملف بألف جنيه فتراجع عن الشباك فسأله مينا:

- معك كام من الفلوس؟

- لم أعمل حسابي أن الملف بألف جنيه، ومعي ٥٠٠ جنيه فقط ظننت المبلغ لا يتعدي ٣٠٠ جنيه.

- خذ٥٠٠ جنيه من معي وأحضر الملف بشرط أن نمشي إلى البيت سيرا على الأقدام، فهذه آخر فلوس معى.

أخذ حازم المبلغ وأحضر الملف، وبدأ يشعر ببعض الإرتياح، فهناك أمل جديد يقترب ربما يدخل السرور بيتنا، وأستطيع أن أنكس البيت وأحضر علاج لوالدي المسكين وعلاج أمي وأتزوج حبيبتي رشا، الحلم أصبح قريبا.

أعد حازم الصور والأوراق المطلوبة وأعطاها ليوسف والد مينا ولم يسأله فهو يعرف أنه لا يتوانى عن خدمة أحد يلجأ إليه، فحازم لا ينسى موقفه أثناء حبسه بسبب قضية الحشيش.

تقدم حازم بالأوراق إلى أكاديمية الشرطة وحدد له تاريخ الإختبارات، وعندما لاحظ ان العدد المتقدم كبير دخل اليأس قلبه ولكنه عاد وذكر نفسه أن معظم المتقدمين لم يحصلو على بطولات.

بدات الإختبارات وإجتاز مينا وحازم كل الإختبارات الرياضية والطبية، وبقي كشف الهيئة، وأمام لجنة كشف الهيئة وقف حازم يجيب على كل الأسئلة الموجهة إليه ببراعة ويتحدث بلباقة فائقة، وكذلك مينا أدى أداءً طيبا أمام اللجنة، وليس لدى عائلة حازم متطرف أو مسجل خطر، ليس هناك شىء غير الفقر. أما مينا كونه قبطيا فهو بعيد عن كل شبهات التطرف.

"إنتظر إعلان النتيجة"... هكذا أنهت اللجنة المقابلة، وعلى صوت القرآن الكريم تجلس والدة حازم تصلى وتجتهد في العبادة وتدعو الله أن يوفق حازم في دخول ألأكاديمية، لم يبق لها إلا هذا الأمل لتتغير حياتهم.

رشا تجلس بجانبها تدعو الله لحبيبها أن يوفقه في أن يصبح ضابطا ويتقدم لها، فهو حبيبها ومنتهى أملها، لا حبيب غيره.

وفي مقهى المعلم زعتر يجلس كابتن توفيق وسط صخب التلفاز وصوت الزهر في لعبة الطاولة وصوت الجرسون العالى وهو يبلغ الطلبات، ولكنه لا يشعر بأحد بل يفكر وينتظر أن يدخل عليه حازم يقبله ويقول:

- نجحت ودخلت الأكاديمية يا بابا، لقد تعبت في تربيتي وأنا سأكافئك، سأنكس البيت وأحضر العلاج لك ولأمي، سأواصل تدريبي في لعبة الجودو، سأصبح بطل العالم فأنا إبن كابتن توفيق.

هكذا كان حلم اليقظة لدى توفيق. ثم عاد وشعر بالخوف من أن تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ويزاد الأمر سوءً، أخشى على حازم أن من اليأس فهو كفيل بتدميره وذهابه في طريق الضياع.

ذهب حازم ومينا صباحا لمعرفة أسماء المقبولين في الأكاديمية، راجعا الأسماء وقلوبهما ترتجف من الخوف، مينا وحازم خارج أسماء المقبولين وأدهم البياع من المقبولين.

مينا يبكي بكاءً شديدا، يحتضنه حازم: الآن يجب أن تصدق يا صديقي أن الكل مظلوم في هذا البلد مسلم ومسيحي، كلما وجد الفقر سهل الظلم.

- مينا: نعم، لكن في ساعة الغضب لايسمع الإنسان إلا نفسه وشيطانه فقط.

تحدث حازم ودموعه تتساقط كالمطر وكأنه حصل على شهادة مختومة بختم الجمهورية تؤكد (أنه لا مكان لأبناء الفقراء والعاملين إذا كانوا يستحقون بدون واسطة)، البلد هذه لفئة معينة فقط هم فيها أبطال على خشبة المسرح ونحن فيها كومبارس، ليس لنا أى دور غير الكومبارس، الضرب أحيانا، الصمت أحيانا أخرى، كل حركة على المسرح بإذن، لا تجرؤ أن تتصرف بحرية، فقط عليك تنفيذ الأوامر دون إعتراض، بينما الأبطال يتصرفون بكل حرية، لهم كل الحق والحقيقة ليس معهم أى حق.

أدهم الذى يتعاطى المخدرات ولم يحقق أى بطولة في حياته، حتى بعد أن مهدوا له الطريق للفوز بالبطولة، لم يفز بها، الآن يدخل الأكاديمية ويصبح ضابطا.

لا مكان لفقير إلا تحت الشمس الحارقة، ولا إعتبار لضعيف حتى لو كان

متميزا... لو كنت في بلد آخر لكان لى ألف إعتبار.. ما كل هذا الظلم بين أبناء الشعب الواحد؟

- مينا: لم أعد احتمل هذا الظلم، سأهاجر مع عائلتي خارج مصر، سيصعب علي أن أترك المكان الذى عشقته ولى فيه كل الذكريات الجميلة، سأسافر بلا ذكريات سأتركها على باب بيتى حتى لا أشعر بالحنين والألم، كم حلمت أن أكون ضابطا مخلصا لبلدى أساعد فيه الضعيف وأقف معه أمام الظالم مهما كان قوته وجبروته.

سألقى بشهادتي الجامعية وأتنازل عن كل سنوات التعليم، الآن أنا مرشح للعمل بوظيفة عامل بوزارة الخارجية، وغيري غير متاح له أى شىء، يجب أن أحمد الله على هذا التفضيل عن زملائي خريج الكليات.

لحظات ألم، بطلها صمت حزين.

اتصل النائب أحمد العلايلي بواصل وأبلغه أنه أوفي بوعده في دخول أدهم الأكاديمية بصعوبة بالغة، فعدد المتقدمين بالآلاف، إضافة إلى صعوبة إخفاء تحليل المعمل الذي أثبت بأن أدهم يتعاطي المخدرات، ولكنه أصر على دخول أدهم الاكاديمية.

دخل أدهم الأكاديمية، شهور معدودة وسيصبح ضابطا ولم يبق غير الزواج... هكذا فكر واصل الذي أراد أن يزوجه لإبنة رجل الحزب فؤاد بيه، وعقدا الصفقة دون أن يرى العروسان بعضهما البعض.

في زيارة سريعة لبيت فؤاد بيه، دخلت هايدي تحمل صينة الشاى، ليس لها حظ من الجمال غير هذا الأسم الشيك، فهى تشبه إلى حد كبير شكل أتوبيس النقل العام وهو مكتظ بالركاب، يخرج منه كتل بشرية من كل الإتجاهات، أو تشبه المساكن الشعبية القديمة بعشوائتها، أو ربما خزان مياه فوق عمارة سكنية.

واصل كان واثقا من أن إبنه أدهم سيوافق على أى حال، فهو وصولى مثله، سيطمع في فؤاد بيه، والرجل سيضمن لأدهم وإبنته حياة بازخة وموقع مرموق، اما العروس فربما الرجيم يغير شكلها.

عقدت الصفقة وتم التصديق عليها من قبل المأذون، وبعد ثلاث ليالي بأحد الفنادق الفاخرة، سافر أدهم إلى أروبا لقضاء شهر العسل هناك.

أدمن أدهم الخمر والمخدرات التى كانت سبب كبيرا في إضعافه جنسيا. وكان يجد متعة وهو ينتزع الأشياء عنوة، وهو ما انعكس على زواجه من هايدى وطريقته في الجماع، كان يحصل على متعته دون اى إحساس بمتعة الأخرين، كما أن المقدمات بالنسبة له ممنوعة، يعاشر كما يعاشر الحيوانات.

حاولت هايدى أن تخلصه من الخمر والمخدرات، تعالجه نفسيا، ففشلت، ورد فعله كان رهيبًا، يضربها، يصيح، يحطم الأشياء التي أمامه.

عادت من شهر العسل بعد قضاء أيام مرة، طلبت من والدها الإنفصال، فأدهم لا يصلح زوج وفشلت في علاجه غير الإهانة والضرب أحيانا.

تم الإنفصال، فلم يستطع واصل أن يرد أمرا لفؤاد بيه بل إعتذر له عن عدم تربية إبنه بالشكل الصحيح، وأدرك أنه اخطأ التفكير من زواجه من بيت رجل الحزب فؤاد بيه، وهذه الغلطة كانت كفيلة أن تقضى على حياته الوظيفية وربما السياسية، غير أن تدخل النائب أحمد العلايلي قلل إلى حد ما من غضب رجل الحزب، وبالغ واصل في الإعتذار لفؤاد بيه ، وإنتهى العقد.

جلست فريدة الشوبك تفكر، أدهم لا صلح معه تلك النوعية من الزيجات، لا يمكن أن يكون إبنها صفقة من صفقات واصل، إنه عصبي المزاج ومتقلب، لا بد من زواجه فتاة تحبه وتصبر عليه وتكون جميلة حتى يحبها ويخضع لها وتغير بعدئذ حياته.

***

(٢٧)

دخل حازم على أبيه في المقهي، ونظر توفيق إلى إبنه فوجده مليئًا بالحزن، وجهه فى صفرة الليمون وتكسوه الغيامة وجسم بدا عليه االهزال فاحتضنه توفيق وذكره أن يحمد الله على أى شىء، فلابد لليل أن ينجلى يوما ما.

- ما فيش فايدة يا بابا، ما فيش فايدة.

كان الحاج علم يراقب الموقف وأيقن بحداثته ما حدث، إقترب من حازم قائلا :

- معلش يا حازم يا إبني إصبر إن الله مع الصابرين. أنا مش عارف الأيام دى أصبحت عاملة كدا ليه؟

صوت حازم يرتفع وسط ذهول الحاضرين: الأيام دى أنتم السبب فيها.

سكون تام يملأ المكان، الكل يتوقف عما يفعله، كأن الصورة وقفت ثواني على الشاشة، نظروا إليه...

بركان غضب قارب على الإنفجار: أيوا أنتم السبب فيه، جيلكم هو الذى وصلنا إللى إحنا فيه دولوقتي، عيشتم أحسن أيام، الشوارع فاضية، ما فيش زبالة، الناس بتحب بعض، الجار يخاف على جاره، ذوقتم مرارة الهزيمة وحلاوة النصر، عاصرتم عبد الناصر والسادات، أم كلثوم وعبد الحليم ونجاة وفيروز وفريد. ولكن نسيتم البلد، أخذتم خيرها وتركتم لنا الفقر، لا سرقتم زي اللى سرقوا، ولا وقفتم ضد اللى سرق، طيب سبتوهم يسرقوا البلد ليه؟

صوت حازم يرتفع أكثروأكثر وبدا كبركان غضب ينفجر: تركتم الظالم يتمادي في ظلمه ليه، وضعتم رؤوسكم في الرمال، إستسلمتم للهوان والضعف والمزلة؟

حازم يصرخ بصوت ثوري: أيوا أنتم السبب، تركتم التافه يعلا فوق وإبن العز يداس بالأقدام، حد يقدر يقول لي ليه تركتم التعليم ينهار ليه، الظلم كتر ليه؟

تجمع الناس حول الصوت العالى الذي يزداد شيئا فشيئا. صوت حازم

ينفجر غضبا: أنت يا معلم زعتر عارف مين إللى كل أسبوع يجي يأخذ

منك فلوس رشوة... وأنت يا أم عوض عملتي إيه مع إللي هدموا لك أكل عيشك، عارفة مين اللى ظلمك... وأنت يا معلم أسماعيل عارف مين اللى بيأخذ عليكم إتاوة كل يوم؟... وأنت يا بابا مش عارف مين اللى ظلمنا وصلنا اللى إحنا فيه؟

صوت حازم يقترب من الضعف والإنهيار: ساكتين ليه، طالما عارفين اللى ظلمنا، ورثوتو لينا الجبن ليه، إحنا ما تعلمناش منكم غير الجبن والدعاء على الظالم... ربنا ما بيحبش الضعيف.

دموع تسقط وصوت ينقطع... الحاج علم يحتضن حازم ويبكي معه... ارتسم الحزن على وجوه الحاضرين، وملأ اليأس قلبوهم، وظهر الخوف على حال أولادهم، فقد ضاق الصدر وشجن القلب من شريعة الغاب.

جلس أصحاب المعاشات على قهوة البروستاتا، منكسي الرأس، تحبس جفونهم دموعهم، شعور بالخزي والإنكسار، نعم كان علينا أن نرفض التخلف والإستبداد، كما رفضنا الهزيمة في نكسة ٦٧، لماذا فعلنا ذلك بأولادنا؟... كان علينا أن نقاوم الظلم ولا نستلم له، الآن أصبح الإستبداد والفساد وحش كاسر يلتهم كل من يقف في وجه.

إنظروا إلى خبر على التلفاز: القبض على رجل يجمع الحمير ويذبحها ويبيع لحومها على المطاعم... لا حول ولا قوة إلا بالله، أصبحنا نأكل الحمير، وصل الفساد إلى قتل الناس بعد أن بدأ في الماضي بأشياء بسيطة، الآن ترهل وأصبح يرقي إلى قتل الناس ولا يبالى.

كنا نرى الفساد في العقارات مجرد ملوحظات بسيطة على الدهانات والسباكة والكهرباء، أما الآن وصل الفساد إلى ضرب الأساسات، وإلى بناء كباري غير مطابقة لأدني مستويات الموصفات، إلى الدواء ومن قبله المستشفيات.

لطفك يا رب... هكذا عبر الجالسون عن غضبهم.

مكث حازم بضعه أيام في البيت لا يخرج، اتجه بعدها إلى المسجد يجلس فيه من الصلاة إلى الصلاة، أطلق لحيته وانعزل عن الناس، دخل في حالة من الحزن والكآبة، حاول مينا أن يخرجه من سجنه في البيت ولكن مينا نفسه كان

من يحتاج إلى من يقف بجانبه ويواسيه في صدمته.

لم يكن حازم لوحده هو الذى دخل في هذه الحالة، وإنما سبقته رشا بمجرد سماعها الخبر، حينها عرفت أنه لا أمل في أن تلتقي مع أحضان حبيبها تحت سقف واحد، هكذا إختار لها القدر.

وقف والدها الحاج صابر بجانبها وقال لها أن الحب الحقيقي يبدأ مع رجل يقدرها وتقدره، مع أول مولود تحبه وتسعد بيه، والزمن كفيل بأن ينسينا الحب، والفقر قادر على قتل كل الحب، وربما اختار القدر لك طريقا غير طريق الفقر فأنت متفوقة في كليتك وغدا ستكوني دكتورة لك وضع إجتماعي مميز بين الناس ويتسابق عليك أبناء العائلات الكبيرة، لا تعلمي يا ابنتي أين يكمن الخير، علينا أن نتحسس الخطى الصحيحة، لا أحب أن أموت وقلبي مشغول بك، أريد أن أراك في احسن حال، حازم شاب ممتاز ولكن الفقر يثأر منه ومن من أبناء هذا الجيل، الدنيا بها ألف حازم يا بنتي، لا تحزني، فأنا لا أطيق أن أرى دموع عينك الجميلتين.

هدأت رشا بعض الشيء بعد حديث والدها، ولكنها رفضت فكرة الزواج من أساسها، لا تريد رجل غيرحازم، ليس من المهم أن أتزوج، لماذا أتزوج وأترك أبي وأخي؟

***

(٢٨)

أبلغ مينا حازم أن والده يرغب أن يراه مساءً، خمن حازم ان والد مينا ربما أحضر له عملا فهو له علاقات وإن كانت غير كبيرة...

- وجه يوسف الحديث إلى حازم قائلا: أنت تعرف أنك في معزة مينا إبني، لا فرق بينكما.

- حازم: وأنت كذلك يا عمي ربنا يعلم مدى حبنا لك، أنت في معزة والدي.

- يوسف: عندى لكما مفاجأة أنتما الإثنين، لم أرغب أن أبلغها لمينا لوحده.

- مينا (معاتبا والده بسخرية): شكرا يابابا يا حبيبي.

حازم يضحك ويستمع بعد أن بدأ صدره في الإنشراح...

- يوسف: أرسلت الأوراق والفيديوهات الخاصة بك وبمينا إلى نادي في أمريكا عن طريق بعض أصدقائى في القنصلية المصرية هناك، ووافقت إدارة النادي على قبولكما، وستتحمل دفع تذكرة السفر وعليكما إنهاء الإجراءات هنا خلال مدة ثلاثة شهور. لكن المؤسف أنكما لن تستطيعوا الدخول في أية بطولة دون الحصول على الجنسية الأمريكية.

- مينا: ما المؤسف في هذا؟ إنه شىء جيد أن يكون لدينا الجنسية الأمريكية والمصرية.

- حازم: نعم شىيئ مؤسف إنك لن تلعب بإسم بلدك بل بإسم أمريكا.

- يوسف: فكرا وقررا وأتمنى أن تسافرا أنتما الإثنين معا حتى تدوم صدقاتكما، فالسفر ينسي المرء أحيانا أحبابه.

- مينا : لا نحتاج لتفكير أنا موافق طبعا.

- حازم: لكنك ستترك عائلتك هنا فترات طويلة.

- مينا: بابا يستطيع السفر لى في أى وقت وتجديد تأشيرة امريكا بسهولة.

- حازم: ولكن عائلتي لا تستطيع السفر، قد يبدو الأمر مستحيلا.

- مينا: مسألة وقت فقط عندما تحصل على الجنسية الأمريكية تستطيع أن تحضرهما في أى وقت، وعلاجهما في أمريكا.

صمت... انتهى العشاء وانصرف حازم، ودخل في تفكير عميق: كيف يترك والده المريض ووالدته ويسافر، كيف يترك حبيبته رشا، لا يمكن أن أتركها أبدا، وبدت الفكرة أقرب إلى الرفض.

أحد جيران حازم سبق أن عرض عليه أن يعمل سائقا معه على مكروباص إشتراه بالتقسيط، فقبل أن يعمل وردة ثانية حتى يستطيع أن يسدد ديونه، ويحضر بعض العلاج لوالده ويشتري ملابس جديدة، فقد قاربت الملابس القديمة على التمزق.

قال في نفسه أنه ليس وحده الذى يعمل في مهنة غير التى درسها، تقريبا جيل كامل يضطر إلى أن يعمل عمل غير تخصصه، مثل جاره أحمد عبد العظيم الحاصل على ماجستير في الأدب العربي بدون عمل، فإضطر إلى شراء مكروباس يعمل عليه سائقا في وردية، وردية أخرى.

إنتهي العام الجامعي، وبدأت رشا تفكر ماذا تفعل مع حازم، لا بد أنه سينتظرها عند الكلية الأسبوع القادم ليرى نتيجتها، فهو لم يتأخر يوما عني، لم ينس يوما عيد ميلادى.

في الأسبوع التالى كانت النتيجة معلقة على أبواب الكلية، طالعها حازم: رشا صابر، بتقدير ممتاز... ماذا يفعل؟... من الذي يقنع عمه أن يرفض من يتقدمون لخطبتها؟... إلى متى تصمد رشا؟

وقفت رشا خلف حازم تراقبه وهو لا يشعر بها، وعندما التف ورائه وجدها تقترب منه وكأنها على وشك أن تقبله، يا ليته يستطيع هو.

- مبروك نجحت كالعادة بتقدير ممتاز.

رشا لم ترد، فقط تنظر إليه عينيه الهاربتين منها، لا يتقابلا، كأنه ارتكب

ذنبا بعدم فوزه في البطولة أو بفشله في دخول الأكاديمية.

- رشا: ماذا سنفعل؟

- حازم (يخرج من صدره نفسا عميقا): الظروف كلها ضدي، وما يأتى من عملي كسائق لا يغطي أحيانا إحتياجات البيت. وعمى يوسف والد مينا عرض علي السفر للعب لنادي في أمريكا فرفضت لأني لا أقوى على فراقكم.

حاول الهروب منها متحججا بأن موعد الوردية بدأ، بينما صعدت رشا إلى الدكتور مدحت عاصم، أستاذها في الكلية الذى دائما يشجعها على التفوق، فهي بالنسبة له مثل إبنته، قابلها بحرارة وهنأها على النجاح والتفوق.

- رشا: هل تكمل جميلك معي يا دكتور وتساعدني في تعييني معيدة بالكلية؟

- مدحت: يا إبنتي أنأ دائما أقف مع المتفوقين لأنهم يستحقون، ولكن الأمور هذا العام أكثر تعقيدا، هناك أبناء عمداء وأبناء قيادات كبيرة، الفساد والشر يحيطان بنا من كل الإتجاهات، ولكني سأفعل ما في وسعى إحقاقا للحق فقط، فأنت تستحقين ذلك لكني أنصحك أن تكثفي جهودك وتتصلى ببعض القيادات لدعمك.

- رشا: لا أعرف أحدًا إلا الله، ربنا موجود... ثم استأذنته وغادرت الكلية وغادرت الفرحة عيونها الجميلة وإستقبلت دموع القلق على مستقبلها. وفي البيت استقبلها والدها وأخبرته بنجاحها، وكذلك بحديث الدكتور مدحت معها.

***

(٢٩)

زارت عفت لطفي فريدة الشوبك في بيتها، وبدأت فريدة في استعراض فخافة البيت وأثاثه وإمكاناته، ثم صعدت إلى شقة هدى بالدور الثالث المكتظة بالأجهزة في إنتظار إزاحة الستار عنها لتبدأ في العمل ليلة العرس، وفتحت دولاب هدي وأخرجت صندوقا صغيرا من المجوهرات. بينما حاولت عفت أن تبدى عدم إهتمامها بالمجوهرات.

انتقلت فريدة إلى الحديث عن واصل وعلاقاته القوية بعلية القوم وقدرته على حل مشاكل الناس بسرعة، فهو لا يتاخر عن مساعدة الناس، فكلما عرضت عليه أن يرتاح ذكرها أن قضاء مصالح الناس يسري في دمه.

وصدقت عفت على كلام فريدة عن أخلاق وكرم وتفاني الحاج واصل في العمل، فلم تجد ما تتفاخر بيه أمام فريدة غير الحديث عن أخلاق سامح وأدبه وطيبته.

جلست فريدة وعفت ودخلت عليها هدي متزينة بأجمل الثياب والمجوهرات، وما أن رأتها عفت حتى قالت:

- بسم الله ما شاء الله، إيه الجمال وخفة الدم دى، وقبلتها ثم سألت مازحة فريدة: كنتم واكلين إيه ليلة ما جبتوا هدي، أكيد أكلتم ليلتها عسل نحل وقشطة أصلي!

فريدة لم يعجبها جمال هدى لكنها انبهرت بمستوى معيشتهم...

اتفقت السيدتان على التفاصيل الصغيرة لإتمام الزواج، واشترطت فريدة أن يكون الزواج عقب التخرج مباشرة، أما الخطوبة فتكون الأسبوع القادم إن شاء الله، ووافقت عفت وسألت هدي أن تجتهد في هذا العام حتى نفرح بهما، لا نريد أن يعطلنا شيء فسامح جاهز ليحضر كل المطلوب منه، وربما يكون استلم عمله في الشركة الإستثمارية الكبري.

وفي حفل عائلى تمت خطوبة هدي لسامح، دون إعلان كبير، لرغبة واصل أن يختبر سامح، لعل الأمر يختلف عن وجهة نظره في سامح وعائلته، وأيضا يعرف مدى تقبل هدى لسامح.

وفي عصر اليوم التالي... حضر سامح إلى بيت خطيبته هدى، ووقف قبل

الباب بخطوات أخرج منديلا ومسح به حذائه وأخرج زجاجة عطر ورشها على قميصه بكثافة ثم دق الجرس فخرجت هدى وقد إرتدت فستانا جميلا وشبه عار، فهو الآن خطيبها.

دخل سامح وسلم على حماته وإستأذنها للخروج، وأبدت فريدة تحفظها على فستان هدي ووافقها سامح، لكن هدى غضبت قائلة إن معها خطيبها يحميها.

ركبت هدى سيارتها وبجوارها سامح، لم تسأله إذا كان يعرف قيادة السيارة لأنها تعشق القيادة ولن تنازل عنها لمجرد أن معها رجل.

طلب سامح من هدى أن تتوقف عند محل للهدايا الفاخرة، ونزل وطلب منها ألا تنزل ودخل المحل وإشترى دبدوب كبيرا، وخرج وعلى وجه إبتسامة وقدم الدبدوب إلى هدي فوضعته على مقعد السيارة الخلفى وكأنه أمراعاديا لم ياخذ إهتمامها، وخلا شكرها لسامح من اية نظرة حب أو تقدير فانطفأت إبتسامة سامح سريعا.

وبمجرد أن ركب سامح، أقلعت هدى بسرعة وكأن ورائها شىء ما تريد أن تلحق به، فحاول سامح أن يداعب أطراف أصابعها فتركته يلامس كفها، يحرك أصابعه على يدها وهى لا تعبأ به، ربما لا تشعر أنه يجلس بجانبها، فتسلل شعور لدى سامح كأنه طفل يحاول أن يجذب إنتباه إمه وهى مشغولة عنه تفكر في أمر ما.

وقفت السيارة على باب ملهى كبير بشارع الهرم، سامح نظرإليها بإستغراب:

- ما هذا يا هدى؟

- نحتفل سويا بخطوبتنا يا حبيبي؟

- كان عليك أن تخبريني، لكى أحضر معى فلوس تكفي لهذا المكان.

أخرجت هدى من حقيبة يدها ألفي جنيها وأعطتهما سامح فرفض، فكيف يقبل منها في أول أيام خطوبتها أن تصرف عليه وغضب قائلا:

- أنت ماشية مع عود خص ولا إيه؟

- حبيبي اعتبرهم سلف وسآخذهم منك أضعاف مضاعفة، لا تضيع فرصة

الإحتفال بخطوبتنا أرجوك يا حبيبي.

كان لوقع كلمة حبيبي على مسامعه تأثير كبير فعادت الإبتسامة من جديد تعلو وجه لكنها إبتسامة منقوصة.

حاولت هدى أن تبدو سعيدة بخطيبها، وأخرجت مشهد الدخول إلى الملهى حتى تجذب كل الحضور، ومسكت الدبدوب في يدها ومشت تتمايل وترقص رقصة السالسا الأجنبية، وسامح يتسائل:

- ماذا حدث، ما هذا التحول الكبير، لم تكن مهتمة بالدبدوب قبل لحظات، لماذا أخذته وترقص به الآن، لا بد أن هناك شيئا ما في الداخل.

وما أن دخلت حتى صرخت معلنة عن قدومها، ثم رمت الدبدوب على عازف البيانو، وأشارت عليه بعزف رقصة السالسا التى تجيدها، التي تشترط وجود رجل وأنثى لرقصها فأخذت سامح من يده وبدأت ترقص حوله، وسامح يتحرك مثل البطة العرجاء، ثم مشت وهى ترقص نحو البارمان الذي حضر لها كاسين من الفودكا، فهو يعرفها ويعرف طلبها، فكثيرا ما سهرت هنا، فالتقطت الكأسين من البارمان وذهبت إلى سامح وهى تتمايل رقصا فأعطته كأس وأخذت آخر، فرفض سامح في البداية، لكن شيئا ما جعله يشرب كأس وراء الآخر.

لاحظ سامح وجود فادي وخطيبته يرقصان، فعرف أنه كان وسيلة في يد هدى، لعل الندم يتسرب إلى قلب فادي. فقد تلقت هدى اتصالا من صديقتها أن فادي وخطيبته في الملهى الليلي الذي طالما سهروا فيه، فاستعدت لهذا الموقف وطيلة الطريق كانت تفكر ماذا تفعل؟

خرج فادي وخطيبته وبقيت هدى ترقص وقد خلعت غطاء الحياء عن وجهها فكانت تتعمد أن تكشف عن ساقيها لتبرز بعض مفاتنها.

انتهت السهرة وخرج سامح وهدى وركبا السيارة، وفي الطريق ظهرت هدى في حالة سكر شديد، وما هى إلا لحظات إلا وصدمت الرصيف وصعدت عليه بسيارتها فأصابت بائعة صميت وحمص وحطمت عربتها على الرصيف، بنت في السادسة عشر من عمرها وبجوارها والدها ينام على حافة النهر.

دقائق وبدأ صوت الإسعاف يدوي وتم نقل البنت لمستشفى القصر العيني،

وجاء التقرير أنها مصابة بكسر في الحوض والذراع، وأبلغت إدارة المستشفي القسم بإخطار رسمي وهو إجراء متبع في مثل هذه الظروف، ورفض سامح أن يغادر المستشفى وبقى بجوار البنت، واتصلت هدى بوالدها وأخيها أدهم وأخبرتهما أن سامح صدم بنت في طريق العودة وهى في حالة خطرة بالمستشفى.

سمع سامح المكالمة مستغربا موقف هدى، فهى التي صدمت نتيجة إسرافها في شرب الخمر، وعندما انهت المكالمة اعتذرت إلى سامح قائلة :

- معلش يا حبيبي، لا أحب أن يعرف أبي أننا كنا في حالة سكر، فيسحب مننا السيارة إلى الأبد .

- لكن العقوبة ستتضاعف، فأنا ليس معي رخصة قيادة.

- اخترتك يا حبيبي لتكون خطيبي لأنك رجل شهم، ولا يمكن أن تتخلى عني أبدا وعليك أن تحميني.

صمت سامح معلنا موافقته. ومضت دقائق ودخل واصل منفعلا وألقى بكم من السباب على سامح متهما إياه بإستغلال الفرصة والتمتع بما ليس له فيه حق، وقال له:

- إشتريتك زوجًا لبنتي وليس وصيًا على أموالي.

نظر سامح إلى هدى، لكنها تدخلت وحاولت تهدئة أبيها.

وفي قسم الشرطة، وقف سامح ومعه والد الفتاة أمام الضابط، وجائت التوصية على سامح بعمل اللازم، لكن الضابط تعاطف مع والد الفتاة ونصحه بأن يأخذ مبلغ من سامح، لأن القضية ستأخذ وقتا كبيرا في المحاكم وربما يضيع حقك.

طلب الرجل من ضابط الشرطة أن يتوسط له لإحضار مبلغ عشرة آلاف جنيه، لكن الضابط أشار عليه أن يطلب عشرين ألف جنيه لعلاج بنته وشراء عربة بيع جديدة. فرفض واصل أن يدفع المبلغ لإنهاء القضية فدفعها والد سامح لإنقاذه من السجن.

***

(٣٠)

تزين الطريق عند مدخل نادي المحافظة بالأضواء، ورقصت الفِرْقَة، وصعد العروسان إلى الكوشة، وبدأ الحفل على موسيقي ناعمة فتشابكَ العروسان وبدأ الرقص إحتفالا بتوقيع عقد بيع سامح لواصل وإبنته.

سمح واصل بمشاركة ٥٠ فردا من عائلة الحاج يسري فقط في حفل الخطوبة، أما معارف واصل فحضر منهم ١٥٠، علل ذلك أن هناك ناس كثيرة ستأتى لمجاملتي، وقبل يسرى ذلك فلا يستطيع أن يرفض.

بدا الحفل وكأنه حلقة سياسية للنقاش وتبادل النكتات السخيفة، أما يسري فكان يتسابق لإظهار نفسه عندما كان يري شخصية معروفة، يمشى إليها رافعا هامته وإبتسامته تعلو وجه مستحضرا شيء من الخيلاء، قائلا:

- أهلا وسهلا... بصوت عالى، ثم الحاج يسري والد العريس بصوت منخفض.

جاور واصل أينما ذهب يمينا ويسارا، لعله ينال الرضا ويدخل لعبة السياسة أو الحكم المحلى.

أما عفت أم العريس، فبدت غريبة على الحفل، جلست وسط مجموعة قليلة من أقربائها لا تفعل شيئا، أو حتى تأمر عاملا لكي يحضر بعض الماء البارد إلى ضيوفها، بينما فريدة بنت العائلة الكبيرة كانت تتحرك في الحفل تأمر فيطيع الجميع الأوامر من غير تردد، فهيئتها تدل على أنهم سيحصلون على بقشيش نهاية الحفل.

وبدت هدي متمرده في الحفل، ترقص بهستيريا، لا تبالى بنظرات عريسها محاولة أن تحد من تماديها في الرقص، تميل بشدة تجاه أصدقاء أدهم الذين حضروا الحفل وإستمروا في الرقص.

أما أصدقاء سامح فحضروا فقط للتمثيل، فعدد الدعوات لم يكن كافيا لإحضار كافة أصدقائه، فظهر سامح وحيدا في الكوشة وسط أدهم وأصدقائه وهدي وأصدقائها وأقربائها، مما تسبب في إحراجه.

إنتهي الحفل، وأخذ سامح عروسه في السيارة المرسيدس الخاصة بواصل ليقضي بها ليلة الزفاف، وتوقفت السيارة في منطقة الهرم وسهرا حتى الصباح في نادي ليلي، تناولت هدى بعض الخمر، أما سامح فأبى أن يشرب وخشى أن تضيع مفعول الحبوب التى تناولها ليلة الزفاف، أو أن ينسى شيئا من السيناريو، فمازال يراجع مشاهد ليلة الدخلة في ذاكرته، فهو البطل الليلة.

رجع العروسان إلى البيت في الساعة السادسة صباحا تقريبا، وألقت هدى بفستانها على الأرض وراحت في نوم عميق من المجهود وتأثير الخمر عليها، ووقف سامح ينظر إليها وهى ملقاة على السرير يحركها يمينا ويسارا فترفض أن تسيقظ، وضاع مفعول الحبوب...

علم سامح أن هذه هي بداية الضريبة التى سيدفعها مقابل زواجه من هدي بنت واصل وأخت أدهم الضابط، فوقف أمام المرآة يتحسس شكله، ثم هون على نفسه عندما رأى زجاجة الخمر التي أحضرتها هدى معها لتكملة السهرة، فشرب منها محاولا أن ينسى... دقائق ولحق بهدى في النوم.

حوالي الساعة الثانية عشر ظهرا دق باب العروسين، فتح سامح الباب بعدما أغلق غرفة النوم على زوجته، كان القادم والده ووالدته واخوته حاملين ما لذ وطاب من الأطعمة، كما تعود الناس في هذه المناسبات.

سألت الأم عن العروس فأخبرها سامح أنها نائمة، حاولت إيقاظها فرفضت، فغيم وجها ببعض الحزن وحاول يسري أن يغير الحديث:

- ما أنتم سهرانين طول الليل يا سيدى.

- سامح ينظر إلى والده قائلا: أيوا نايمين من ساعة واحدة فقط.

- يسري: كدا عندها حق ما تصحاش... ثم خرجوا من شقة هدي غاضبين، بعدما رأت أن إبنها يتحدث وصوته مجروح... فأدركا أنهما أخطئا عندما وافقا على زواج ابنهما في بيتها، لكنها كانت فرصة للحصول على شقة والإهتمام بسامح.

كانت فريدة في إنتظارهم، وسألتهم: إيه أخبار العرايس؟

- عفت: العروسة نايمة يا خسارة معرفناش نشوفها ؟

لامست فريدة من قولها العتاب، فمن العيب أن تأتي والدة العريس وزوجها الصباحية ولا ترى العروس. فرفضت فريدة أن تخرج عفت ويسري من بيتها غاضبين، وخشيت أن يكون سامح غضب من هدى في أول يوم زواجه، وأصرت على بقائهم معها بحجة أن العروسين سيحتاجون إلى غداء حمام محشي وهي ليست خبيرة بإعداده.

- أنت يا عفت خبيرة بالحمام، أخبرني أدهم أنه أكل عندك حمام لا يوصف.

انفرجت أسارير عفت، فأخيرا وجدت شيئا تتفوق فيه على نظريتها فريدة وهي تعترف بلسانها أنها أفضل منها في الطبخ... هكذا إستطاعت فريدة أن تهدئ من غضب عفت وزوجها، وأشارت إلى الحاج يسري أن يجلس في غرفة الجلوس فواصل على ووصول الآن ويريدك.

في حوالي الساعة الثانية ظهرا، دخلت فريدة إلى غرفة هدي وأيقظتها وطلبت منها أن تاتي للسلام على والدة سامح لأنها غاضبة من عدم إستقبالك لها وحتى لا يغضب سامح منك في أول الزواج. فلم تقتنع هدي بذلك ولكنها خشيت من سامح أن يكون روى ما حدث أمس فتحدث مشكلة.

نزلت هدى من غرفتها بعد أن قبلت سامح وبكلمات رقيقة اعتذرت له، وقابلت والدة سامح وسلمت على الحاج يسري، ثم صعدت إلى غرفتها حيث اللقاء المؤجل بينها وبين سامح حان موعده الآن.

وعلى مائدة الحمام، التقى واصل وعفت ويسري وفريدة بعد تبادل التهاني بالزواج السعيد.

- فريدة: أريد أن أزوج أدهم بأسرع وقت ممكن، وأسعد برؤية الأحفاد وهم يملأون البيت من هدى وأدهم.

- عفت: يا ريت عندي بنت في سن الزواج كنت زوجتها لأدهم. ولكن عندي عروسة الكل بيحكي عن جمالها وأدبها وكمان متفوقة في الكلية وستصبح دكتورة .

- واصل: من؟

- عفت: رشا بنت صابر شاكر صاحب الحاج يسري، أمها توفت وهى صغيرة.

- يسري: البنت محترمة ومتفوقة ولكنها فقيرة.

فريدة (لسان حالها يقول بسخرية): الفقر مش عيب يا حاج يسري.

- يسري: سامح يعرف أخبارها فهو صاحب إبن عمها، أسألوه عنها.

اختفى الحمام من على المائدة وانصرفا، وجلست فريدة تفكر مع واصل في البنت التي ستزوجها لأدهم.

- فريدة: عايزين واحدة مؤدبة وفقيرة حتى تتحمل نزوات أدهم، فنزواته لن تتوقف، وتصبر وتتحمل أفعاله، والأفضل تكون فقيرة حتى لا تجد من يقوي شوكتها علينا مثلما حدث في زيجته الأولى، وفي نفس الوقت جميلة حتى ترضي أدهم.

- واصل: أفضل أن يكون والدها صاحب مركز إجتماعي معروف حتى يناسبني.

- فريدة: ولكن البنت نفسها ستكون دكتورة جامعية وصاحبة مركز إجتماعى مميز، إذا صح حديث عفت عن البنت رشا ستكون مناسبة جدا لأدهم.

***

(٣١)

نزل العروسان للإفطار مع واصل وفريدة، وأظهر مشاعر الود والإحترام من سامح تجاه واصل وزوجته رغم شعوره بالغربة في بيت واصل، أما هدى فظهرت متحررة، زوجها فقط هو الذى يستطيع أن يوجه لها النقد لكنه لا يستطيع.

وأثناء تناول الإفطار أخبر واصل سامح أنه يريد أن يزوج إبنه أدهم، وسأله عن رأيه في رشا صابر، فأجابه سامح بأنها بنت محترمة وجميلة ومتفوقة ومشهود لها بحسن الخلق والتدين يا عمي، وأدهم يعرفها جيدا فقد حاول أن يغازلها فرفضت ونهرته.

- هدى تنفجر غضبا: يا سلام جميلة ومحترمة ومشهود لها بحسن الخلق، انت بتتكلم عن فاتن حمامة، ولما هى كدا كنت اتجوزتها وريحتنا.

- فريدة تتدخل سريعا: سورى يا سامح يابني، هدى بتغار عليك والغيرة معناها الحب يا عبيط.

وفي المساء جلس واصل مع أدهم، واخبره أنه يريد أن يزوجه حتى تستقر حياته: نريد أن نرى أحفادك يا حبيبي.

- أدهم: عندك عروسة جديدة لي؟

- واصل: رشا صابر، تعرفها؟

- أدهم: رشا! من أخبرك عنها؟

- واصل: لا شأن لك، فقط عليك الزواج.

- أدهم: بنت ممتازة لكنها فقيرة.

- واصل: أنت تبحث عن أم لأولادك وليس عن سيارة تشتريها، كما أنك تزوجت الغنية فماذا كانت النتيجة؟

- أدهم: لى معها مواقف غير لطيفة. لكنها مفاجأة لى ومغامرة جميلة.

- واصل: الذي شعجني أنها لم تعطك أى إهتمام. واضح أنها مؤدبة.

ضحك أدهم وواصل...

وفي الصباح إتصل واصل بالحاج يسري وأخبره أن يلمح فقط من بعيد بالموضوع مع صابر، وكأننا لا ندري عنها شيئا. فذهب الحاج يسري مساءً إلى كافتريا البروستاتا وقابل الحاج صابر الذى ظهر عليه الضيق بسبب موقف الكلية من رشا إبنته المتفوقة...

سأله: ما بك يا حاج صابر، فلم يشأ أن يتكلم في مشكلته، لكن يسري ألح عليه أن يتحدث، فأخبره بموقف الكلية من رشا، فوضع يسري رجلا فوق رجل وكأنما ملك مفاتيح النصر:

- محلولة يا حاج صابر إن شاء الله.

نظر صابر إلى يسري بدهشة:

- كيف؟

- يسري: تعرف أني نسيب الحاج واصل البياع وهو رجل له نفوذ كبيرة.

- ما أعرفه أنه يوعد ولا ينفذ وعوده، فهو رجل سياسة.

- أنت لا تعرفه، وسأجعلك تقابله صباح الغد.

اتصل يسري هاتفيا بواصل وأخبره بأن صابر هو الذي سياتى إليك في مكتبك غدا ليرجوك أن تتوسط لإبنته رشا في الكلية. وضحك واصل من دهاء يسري ومكره.

وفي صباح اليوم التالى، أخبر السكرتير واصل بأن الحاج يسري ومعه رجل آخر يريدان مقابلته، ودخل الإثنان وظهر واصل كعادته في غاية الإحترام والمودة، وعرض عليه الحاج صابر مشكلة رشا إبنته، فهى تستحق التعيين بالكلية لتفوقها الدائم، ووعد واصل بتذكيتها عند العميد، فرشا مثل إبنته هدي، ثم وجه الحديث إلى صابر، قائلا:

- أنا أحب ان أخدم الناس يا حاج صابر فهذه مهمتي. وطلب أن يرسل له رشا صباحا بحجة أنه سيعطيها خطابا إلى دكتور في إدارة الجامعة.

ذهبت رشا لمكتبه وهى لا تعلم من هو واصل البياع فاستقبلها بالترحاب وأظهر لها مظاهر نفوذه، ثم فاجأها:

- لن أتوسط لك فقط في الكلية بل اتوسط لك عند لأدهم إبني ليتزوجك.

إحمرت وجنتيها وبدا الخجل عليها، ولكنها سألته أدهم من!؟

- أدهم إبني ضابط وبطل الجودو. ستكونى الدكتورة حرم الضابط...

صدمة كبيرة لرشا... فوقفت صامته للحظات حين فاجأها واصل بقوله: أحببتك مثل إبنتي هدي يا بنتي، لا تقلقي من شيء، سأكون معك. خذي الخطاب وإذهبي إلى الدكتور في الجامعة.

وفي مكتب غاية في الفخامة فتح الدكتور الخطاب، ودون أن يتكلم رفع التليفون وتحدث مع عميد الكلية عن إمكانية تعيين رشا في وظيفة معيدة في الكلية، فأجابه العميد بالإيجاب.

فتحت الأبواب المغلقة أمام رشا، لكن القلب تبدو عليه نقطة سوداء لا يريد أن يفتحها وينقشها، كانت تمني نفسها بأن أدهم سيرفض طلب والده بان يتزوج منها، فهى نهرته كثيرا.

أرادت رشا أن تتكلم مع أحد وتخرج ما بداخلها، أن تأخذ رأيه ، فهذا الأمر لا يمكن أن تحكيه لزوجه عمها، فكيف تقول لها أن مستقبلها الآن متربط من الزواج برجل غيرحازم.

إنهما متعارضان، فتعيينها بالكلية معناه قبولها للزواج من أدهم، فواصل لن يساعدها لوجه الله... وقفت رشا أمام صورة والدتها المتوفية تحدثها عما حدث لها وقلبها يعتصر ألما على حازم الذى أمسكت صورته تتحسس وجهه، وفي نفس الوقت يعتصر قلبها خوفا على مستقبلها وأخوها ووالدها، تريد أن تنقلهم إلى مكان أفضل أو تساعدهم في تنكيس البيت بسرعة قبل المصير المجهول.

في المساء لم تجد غير والدها تحادثه بما عرض عليها واصل، وأن مستقبلها مرهون بموافقتها على الزواج من أدهم، فرجع صابر برأسه إلى الوراء وأخذ يفكر ثم قال لها:

- لن اجبرك على شيء، لكن زواجك من حازم محكوم عليه بالفشل، لن يستطيع أن يشتري لك حتى فستان العرس، سيلازمكما الفقر طيلة العمر وهذا كفيل بقتل كل المشاعر الحلوة، الفقر يقتل أى شيء... في عملى كنت أرى النيل صباحا ومساءً فلم أشعر يومًا بجمال سريانه ومنظره البديع لأنني كنت مشغول بأكل العيش والحياة الصعبة، ونصيحتى لك أن توافقى رأفة بك وبنا يا إبنتي.

***

(٣٢)

تلقتط هدي شريط منع الحمل وتتناول في خلسة حبة منه، فهى لا تريد أن تحمل وتلد دون أن تستمتع بحياتها، كما أن سامح مجرد مرحلة في حياتها للعبور إلى الحرية، لشرب الخمر وتناول الحبوب المخدرة، لم يمنعها الزواج من هذه الأفعال بل أعطي لها كارت أخضر للتمادي في السهر والشرب، فالرقابة إنتقلت من أخوها ووالديها إلى زوجها، لكن سامح ليس بجانبها، فعمله في الشركة الإستثمارية جعله يسافر أحيانا كثيرة للإشراف على المشاريع، ويمكث أياما خارج البيت، إضافة إلى أنه لا يستطيع منعها فهو ضعيف أمامها، وبحركات بسيطة من الدلال تستطيع أن تهدي من غضبه.

خرج سامح ذات مرة عن صمته وإنزعاجه وأبلغ والدتها، فطلبت من واصل أن يسحب منها السيارة التى إشتراها لها لمنعها من السهر، وعندما فعل ذلك انهالت على سامح بالشتائم والصوت العالى فلم يستطع مقاومة ذلك فعاد وتوسل إلى والدها أن يعيد لها السيارة.

لكن القدر كان له رأى آخر... شعرت هدى ببعض التعب فاكتشفت عند مراجعة الطبيب أنها حامل:

- حامل هدى حامل... هكذا ظل سامح يكررها فرحا بهذا الخبر، فأمله كبيرا أن يثنيها الحمل عن السهر وأن تجلس في البيت تراعي حملها وطفلها، خاصة بعد أن أخبرها الطبيب بأن حمل الطفل الأول يتطلب أن تنام على ظهرها فترات طويلة طوال فترة الحمل.

فكرت هدي أن تتخلص من الجنين فاستشارت الدكتور فأخبرها أن هذا يشكل خطرا عليها، وبصعوبة الحمل بعد ذلك إذا تم الإجهاض المتعمد للجنين، فرضخت للأمر الواقع ومكثت في بيتها، عصبية المزاج، تلقى بكلمات على مسامع سامح كالجبال، وهو يستحمل خوفا على مولوده، وعندما يشتكي لوالدتها تخبره أن الحمل الأول صعب، ويجب أن تستحملها إن كنت تحبها حتى تضع لك طفلك، فيصبر، لكن الحقيقة أن منع الخمر والمخدرات عنها كان السب المباشر في إرتفاع حدة الصوت والعصبية وليس الحمل.

كان سامح عقد العزم على تركها، ولكن الولادة أثنته عن قراره بالإبتعاد عن مولوده. وعلى باب غرفة العمليات سمع سامح بكاء طفله الأول فسقطت دموعه فرحا، وتهلل وجه واصل وفريدة وعفت ويسري، فرحا بطفلة جميلة سموها أمل.

تركت المخدرات والخمر تأثيرا سلبيا على الجنين، فولدت الطفلة مشوهة الأرجل وتحتاج لرعاية خاصة وعمليات في كل مرحلة من العمر، أحضروا لها اخصائية علاج طبيعي فبدأت تستجيب للعلاج، وكلما كبرت تحسنت حالتها، لكن هدى ملت من الجلوس في البيت ومتابعته حالة أمل، عادت إلى الشرب بنهم كبير، وتركت ابنتها في يد خادمتها أنجيلا وفريدة.

بالرغم من تعلق قلب هدى بأمل إبنتها، لكنها بقت مستهترة بعض الشيء، أمل هى الوحيدة التى تستطيع أن تجبرها على العودة إلى البيت والدخول من الباب الخلفي.

كبرت أمل وبدات تزحف على أرجلها وتعلق بها الجميع، وردة تشع حبا وجمالا في البيت، حتى أدهم قاسي القلب متقلب المزاج، كان أمامها كطفل صغير لا يستطيع أن يدخل البيت إلا ويمر عليها، يتفنن في إحضار ألعاب لها، وعشقت فريدة حفيدتها، تجلس معها بالساعات وربما تنام على صدرها، تشعر بسعادة غامرة وهى بجوار أمل.

حتى واصل كان يترك ضيوفه ويتصل هاتفيا ليسمع صوت أمل التي لم تكن تكلمت بعد، يترك إجتماعه ليسمع كلمة واحدة فقط هى (أأأ) فلقد إختصرت أمل كل حروف اللغة العربية في (أأأ).

ذات مرة دفع واصل الخادمة أنجيلا بقوة لإرتكابها خطأ فبكت، وكانت أمل تراقب الموقف فزحفت إلى واصل وضربته بيدها الضعيفة الصغيرة وكأنها تعاقبه، ثم ذهبت إلى أنجيلا وطبطبت عليها وواستها.

هذه برائة الأطفال، هكذا خلق الله الإنسان صافي النفس، نقى السريرة، عطوف، رحيم، لا مكان لغل أو حقد أو تكبر داخله، ربما لو كبرت ملأتها الحياة بعيوب البشر، نالت منها ما نالت وتركت منها ما تركت.

أمام أستار الكعبة وقف سامح يدعو ربه بأن يغير الحال، فهو يحب هدى رغم كل أفعالها لا يريد أن يتركها ويترك إبنته، وإذا قرر الإنفصال عن هدي سيحرم من إبنته وربما من عمله، ناجي ربه وخر راكعا وأناب.

سامح دعى زوجته لأداء عمرة فرضت، متعللة بان أمل تحتاج لرعاية دائمة ولا تستيطع أن تتركها ولا أن تأخذها معها في السفر، فسافر سامح لوحده مصرا على مناجاة ربه.

رجعت هدى ذات مرة مخمورة من السكر ونامت وهي في حالة من الإعياء، استيقظت أمل من على سريها في غرفة نوم هدى وزحفت على يدها ورجلها التى تنقلها بسبب التشوه والعمليات وحاولت إيقاظ هدي من نومها لتحضر لها بعض الماء، وحركت يدها الصغيرة الناعمة على وجه هدى بعد أن وقفت على جانب السرير بصعوبة.

تمتمت بكلمتها المعتادة (أأأ) لكى تسمعها، وإستجمعت قوتها الرقيقة وقبضت بيدها على بعض شعيرات من شعر هدي وتحركها، جذبتها من يدها، باءت كل محاولاتها بالفشل، فزحفت الى الباب ففتحته وأكملت الزحف إلى الثلاجة لتحضر الماء.

إقترب من الثلاجة وفتحت بابها بصعوبة، ضعفت أناملها بسبب فتح الباب فتعلقت بالثلاجة حتى تقف عليها، حاولت إلتقاط عبوة الماء فلم تحملها أرجلها المشوهة، خارت قواها الضعيفة ووقعت عليها محتويات الثلاجة، فبكت بصوت عالى وذهبت الى السلم لتشتكي إلى جدتها التى تسكن الدور الثاني وسقطت...

في الصباح استيقيظت فريدة من نومها فوجدت خيطا متقطعا من الدماء وصل إلى غرفتها فتبعته وقلبها يرتجف خوفا من مصير لا تعرفه ولكنها تشعر بيه، وعندما وصلت إلى السلم، كانت المفاجأة، صدمة، بكاء، انهيار.

واصل قفز من على سريره، جلس على ركبتيه مقتربا من الأرض، حمل أمل وضمها إلى صدره وبكي كالطفل الحزين، هدي تسمع صوت إزعاج يتزايد تضع المخده فوق رأسها لتقلل من حدة الصوت تريد أن تكمل نومها، ثم ترفع المخدة على صوت خطوات مسرعة يقترب من غرفتها، تسرب إليها بعض

الخوف ،والباب يفتح بقوة: أمل ماتت، أمل ماتت... كلمات خرجت من فريدة قبل الإغماء على باب غرفة هدى.

غيم الحزن على البيت، وامتلأت الجفون بالدموع الحارقة، فإنفجرت كسرب ماء لا يتوقف، وسكن الجرح القلب.

رنات هاتف متواصل لسامح...

- أهلا عمي واصل.

- البقاء لله ماتت أمل.

ساعات قليلة، سيارة تقف أمام الباب وينزل مسرعا، البكاء يزداد عويلا كلما مر على مكان تذكر أنها تلعب فيه، إقترب من الصالة تذكرها وهى تهلل فيها، صعد السلم بخوف من رؤية المشهد الأخير لأمل.

تذكرها وهى تمسك بلعبتها وترميها على أدهم، دخل عليها فوجدها إستعدت للسفر الأبدي، كفنوها وتركوا وجها ليراها قبل الغياب، إبتسامة رقيقة رسمت على وجها قبل الرحيل.

مرت أيام على سامح وهدى يتحركان في البيت كأشباه إنسان، لا صوت، تفكير عميق.

- نظرسامح إلى هدى قائلا: كنت تظنني أن ضعفي هو سبب صبري على أفعالك القذرة، ولكن حبي لك كان أقوى من ضعفي، أما الآن فلم يعد هناك سبب للصبر، أنت طالق...

جمع سامح ملابسه وأعلن الرحيل، وما أن رأته يجمع ملابسه حتى تتوسلت إليه: أحبك، تنحني لتقبل رجله، تقبل يده، لا تتركني، لن أفعل أي شيء يغضبك بعد الآن، أشم في حضنك رائحة أمل، أنت أملي للعيش بعد أمل، إنتظر، أعدك بحياة جديدة، لن أقوي على فراقك وفراق أمل، لن أعود إلى ماكنت عليه، أحبك.

رحل سامح عن البيت والجميع مازالوا في متاهة الحزن.

***

(٣٣)

أبلغ واصل الحاج صابر أن مسألة تعيين رشا بالكلية تسير جيدا ويتابعه بنفسها، وأنه يعتبر رشا مثل إبنته هدي، ويريدها زوجة لأدهم، وأخبره أنه سبق لأدهم الزواج ولم يوفق لأن الزوجة كانت مستهترة وغير مدركة معنى الزواج.

طلب توفيق من صابر أن يسمح لأدهم برؤية رشا بأن يصطحبها إلى بيت واصل لتناول الغداء يوم الجمعة، ولكن صابر رفض ذلك قائلا:

- كيف يذهب هو وإبنته الى بيت العريس ليعرض إبنته عليه، والأفضل أن يأتي ليتناول الشاى معهما في بيتنا عقب صلاة الجمعة.

أخبر صابر ابنته رشا أن أدهم سيأتى غدا بعدها تقرر، غير أن رشا كانت في صراع نفسي كبير بين المستقبل والحب، لكن الحب مهدد بالقتل العمد، أما المستقبل فيفتح ذراعيه لها لأول مرة وسيسمح للمياه أن تجري في العالى بقوة دفع الواسطة.

عقب صلاة الجمعة، اقتربت سيارة فاخرة من بيت رشا، حازم يجلس على كافتريا الشباب، لاحظ السيارة تقف عند البيت وطالع من ينزل منها:

- أدهم!... ما الذى آتى به إلى هنا، ولماذا يقف بجوار البيت؟

نزل أدهم وفتح باب سيارته الخلفي وأخرج منها علبة كبيرة مغلفة بشريط أحمر ودخل البيت فارتفعت دقات قلب حازم ومشى ناحية البيت، نادى عليه أصدقائه فلم يسمعهم، فقط يسمع دقات قلبه المتسارعة، لكنه آبى أن يصدق، إشتعلت النار في رأسه، كتمها في جوفه، لم تستطع أرجله أن تتحرك، حاول جر رجليه ناحية الباب، كاد أن يسقط، سند بكلتا يديه على جدار البيت.

أدهم يقف على باب شقة رشا ينتظر الدخول، صرير باب يفتح صوت رشا: أهلا أدهم تفضل.

- حازم: أدهم... رشا... معقول!

انتابت حازم حالة من الضحك الهستيري المؤلم، ارتفع صوته بقهقة عاليا

سمعها كل من البيت، استجمع قوته بمساعدة ترابزين السلم وصعد شقته،

جسمه ينتفض من الهيستريا، شعرت به أمه وسألته: مالك يإبني تضحك ودموعك تحتبس في عيونك؟

دخل غرفته وأخرج صورة رشا من بين الأوراق، وما أن رأها إلا وإنتصر لقلبه فبكى بكاء شاب فقد أمه.

رشا تحاول أن تبدو طبيعية ، كما اتفق والدها معها، وعندما جاء الموعد المحدد، وكلما اقترب أدهم من الباب صعبت حركتها وفتحت الباب مرتجفة ويدها ترتعش كأنها تفتح باب قبرها بيدها.

شيء رهيب ومحزن أن يجبرها القدر على استقبال أدهم بابتسامة مزيفة، أدهم الذي تشك أنه دمر حياة حازم، ربما بعد شهور تكون في أحضانه.

بدا ادهم طبيعيا ودودا واعتذر لها عن مواقفه معها في الكلية بأنه كان يرغب أن يتعرف عليها ثم على الحاج صابر بعدها، لكن إصرار رشا على المعاملة القاسية جعله يغير رأيه، إلى أن جمعتنا الاقدار سويا من جديد فطريقنا واحد وستكوني في أحسن حال معى وسأجتهد لإسعادك.

رشا تستمع لأدهم الذى ظهر بصورة مختلفة عن الصورة التى عرفتها عنه، وانتهت الجلسة بود ولطف من أدهم الذى إستطاع بخبرته أن يغير الصورة شيء ما.

رأى كابتن توفيق أدهم يخرج من البيت، فاستشعر ما جرى، فكثيرا ما كان يرى الحاج يسري يجلس خلسة مع صابر، فترك المقهى ودخل على إبنه وهو يمشي على عكازه ونظر في وجهه وقرأ كل التفاصيل، رمى عكازه على الأرض وتظاهر أنه سوف يسقط فسارع حازم لإلتقاطه قبل السقوط، مسكه توفيق قائلا:

- هكذا أنت، وهكذا أريدك، أنت سندي وعكازي، فإذا سقطت سنسقط معك، أريدك قويا لنتحمي بك، لا ضعيفا فتضعفنا، ثم احتضه وقال له:

- لا تبكي، فإن بكاء الرجل معناه أنه خسر كل شيء، وأنت مازالت تقف على رجليك لتحمينا ونتقوي بك... ثم حاول تهتدئه وحثه أن يقبل بالأمر الواقع، فزواجه

من رشا بات مستحيلا، وسيعطله عن عمله ويزيد من أعباء الحياة عليه.

كانت والدة حازم تراقب الموقف وقلبها يعتصر ألمًا على إبنها الذى فقد كل شىء حتى حبيبته الذى تمناها طلية حياته، ولكنها ذكرته بقضاء الله وقدره، ونصحته بأن ينتزع حبها من قلبه، وإذا كان يحبها فليتمنى لها حياة كريمة ويتمنى لها الخير.

لحظات قاسية تمر على رشا وحازم، أصعب لحظات العمر حين يقرر القدر الفراق. وطلبت رشا من والدها أن ينزل يطمئن على حازم بعد أن علم بمجىء أدهم ليخطبها. أمام شقة
حازم وقف صابر مترددا، ماذا يقول لإبن أخيه، وعندما دخل كان الصمت سيد الموقف، جلس صابر على أريكة الصالة المتهالكة دون أن يتكلم، الكل صامت، بعدها تكلم صابر:

- ضعوا أنفسكم مكاني ماذا أفعل؟، هذا قضاء الله، ليس هناك نصيب في أن يتزوجا، لعل عدم زواجهما خير، لا أحد يعرف الخير فين، رشا املى في الدنيا، ولا أرضى أن تقتل في هذا البيت، مكثت سنوات خوفا أن يسقط البيت على أولادى وحين تأتي الفرصة لتنجو واحدة من الموت، أرفض، هل هذا معقول، يجب أن نتقبل أمر الله برضا وطمأنينة.

أدار حازم مؤشر الراديو بالسيارة التي يعمل بها، سمع مطرب يغني:

آه يا عمر راح وإنتهي

آه يا عمر خان وإشتكي

كنت يشوفك لما بتلمس قلبي

كانت الدنيا بضحك وردي

كنت صبايا وفرحي ونغمي

كنت هوايا وعشقي ودمي

أنت نصيبي وحلمي وقدري

ليه بتخلي العمر يعدي

ليه بتجرح فيا وتقتل أملى

يالي بغدرك ظلمت ليالي

أنا من ظلمك هكره عمري

انا من غدرك هقفل قلبي

آه يا حلم ضاع وإنهزم

آه يا صرخة طفل وألم

***

(٣٤)

داخل منزل مينا جلس حازم ودموعه تسبقه، حكى له ما حدث، وأخبره أنه قرر السفر إلى أمريكا، لم أعد أتحمل أى شىء هنا، لكن المدة المتبقية لإستخراج التأشيرة قليلة، فأخبره مينا أنه سيسبقه فقد أنهى إجرءات السفر وأن هناك من يأتى من ولاية أخرى لإستقباله، وبعد ثلاثة أيام سافر مينا وإصطحبه حازم حتى المطار.

وأمام رغبة والدها وافقت رشا على الزواج من أدهم، مشترطة أن تخرج من بيتها إلى بيت العريس بدون فرح ولا زينة، تعللت أنها لا تريد ان تحمل والدها تكلفة الزفاف، وأرادت أن تراعي مشاعر هدى أخت أدهم بعد موت ابنتها.

اتفق واصل وصابر على كتب الكتاب مباشرة دون فترة خطوبة، فواصل يخشى من سمعة أدهم السيئة، وصابر لا يأمن على بنته من خروجها مع أدهم، ربما لو خطبها ثم قدر تركها فستصاب البنت بالأذى. وفي نفس الوقت يخشى أن تفيق رشا من غفوتها وترفض أدهم، فقد بذل صابر جهدا في إقناعها، وواصل لن يتوسط لها في الكلية إلا إذا أصبحت زوجة لإبنه.

إتفق صابر وواصل على عقد الزواج في الجامع الكبير بالمدينة عصر يوم الجمعة، وأخفي صابر ذلك عن رشا كما يخفى السجان موعد تنفيذ حكم الإعدام على السجين.

وفي مساء يوم الخميس، أخبر صابر ابنته عن موعد كتب الكتاب فلم تذق للنوم طعما، وأعلن الخبر للأهل والجيران، بينما تعمد كابتن توفيق وزوجته أن يخفوا الخبر عن حازم، فهو مسافر يوم الجمعة، فلماذا يحمل هما جديدا إلى همه.

جاءت ساعة الفراق وجمع حازم أوراقة وملابسه القديمة وأمسك بحقيبته يغلقها كأنما يغلق على حياته وذكرياته الماضية، وحملها ونزل وكان أصدقائه ينتظرونه ليودعوه، وأعد نادر له سيارة من المعرض لتوصيله للمطار.

نظر نظرة أخيرة إلى الشباك المغلق، أيقن أن رشا تقف وراءه تلقي عليه نظرة الوداع ودموعها تتساقط كقطرات الندي على فراق حبيبها، ظلت وراء الشباك طيلة اليوم بعد أن علمت أن حازم سيسافر، بقيت تراقب دخوله وخروجه وكأن

القدر يحتفل بتفريقهما، فهى يكتب كتابها على أدهم عدو حازم، وحازم يسافرإلى امريكا في نفس اليوم، سيرحل حبيبي، ربما لن أراه مرة اخرى في حياتي.

في تلك اللحظة دخلت أم عوض وأطلقت الزغاريد في شقة رشا، سمعها حازم وكأنها صاعق كهربائى انتشر في جسده، سحبه نادر من يده وأدخله السيارة.

- نادر: موعد الطائرة يا حازم.

ودع نادر حازم عند بوابة الجوازات وعاد، وحالة أشبه بالغيبوبة تنتاب حازم، يمشي كمريض المشى ليلا.

- ضابط الجوازات: جوازك.

نظر حازم إلى ضابط الجوازات لكنه لا يسمعه، كأن الزغاريد ما زالت تسري في جسده تسد أذنه.

الضابط: أين جواز سفرك ألا تسمعني؟

حازم ينتبه، يضع يده في حقيبته ليخرج جوازه، مفاجأة... الجواز غير موجود، يبحث يمينا وشمالا، الجواز فقد، لا بد أنه فقط في المطار، كان معى منذ دقائق، أين الجواز؟

لم يبق على الطائرة إلا خمسة عشر دقيقة، كل شىء سيضيع ، سأعود حاملا فشلى مرة أخرى إلى البيت، إلى هذا الحد الفقر يعشقني؟

الضابط ينادى على زميل له، إستلم مكاني، ويخرج من كابينته، فظن حازم أنه سيخرجه من المطار أو يمسك به ليعمل محضر له، لكن الضابط أمر العساكر أن يبحثه له عن الجواز المفقود وأبلغ الإذاعة الداخلية، ثم أخذ حازم من يده وذهب به إلى غرف المراقبة، وتحدث مع زميله وديا أن يعيد الشريط الخاص بصالة المغادرة بسرعة، وبدأ بعرض الشريط ، لكن الشريط سوف يستغرق نصف ساعة والطائرة ستغلق أبوابها بعد دقائق.

إنفراجة...

يدخل عسكري ويبلغ الضابط أنه تم العثور عليه، فأمسك حازم جوازه بيده وشكر الظابط واحتضنه.

مفاجأة أخرى... الضابط يطلب من حازم ان يسامحه ويعطيه الجواز بعد ختمه بخاتم المغادرة.

إستغرب حازم هذا الطلب فهو لا يعرف الظابط من قبل ولم يصادف أن تقابلا قبل ذلك؟

- حازم: لماذا؟

- لأنني قصرت يوما في واجبي وقسمي الذي أقسمت عليه لخدمة هذا البلد.

- حازم: لا أفهم، أرجوك فهمني.

الضابط: أنا أعرفك جيدا، أنت شاب مخلص ومجتهد، أعتذر لك وأرجو أن تسامحني فقد كنت ليلة بطولة الجمهورية في موقعي بمديرية أمن الجيزة، وعلمت بما يخطط لك من قبل فئة تسيىء إلينا، وعندما إعترضت تم نقلى إلى المطار.

هكذا نحن البشر، نحمل في قلوبنا نقاط سوداء ونقاط بيضاء، أحيانا كثيرة تتحكم لذة الشر داخلنا. أرجوك سامحيني لم أستطع أن أفعل شيء، غير الصمت.

هناك عناصر بيننا تتجاوز القانون لأهداف شخصية ، لكن الوقت سيأتي لمحاسبتهم.

نظر حازم إلى الظابط وإبتسم: لسه في أمل.

استغرب الضابط من رد فعل حازم وهو يكرر الجملة ويبتعد ليلحق الطائرة، لسه فيه امل، لسه فيه امل، لسه في أمل.

جلس حازم في الطائرة على مقعد بجوار الممر، وبعدها بدقائق أقلعت الطائرة وحازم يقرأ في المصحف وعلى يساره رجل يشرب الخمر وعلى يمينه امرأة بخمار تقرأ القرأن الكريم في صمت. وأمامه شابة صغيرة خلعت معطفها وجلست بقطعتي قماش من الجينز تحمل نهديها وتغطي عورتها.

شعر بالغربة بمجرد أن وطأت قدماه الطائرة. فلم يتعود أن يستنشق نسيم للحرية ولم يعرف رائحته من قبل.

تطلع إلى شباك الطائرة ينظر على قلبه الذى بدأ يخرج من جسده شيئا فشيئا، فكلما بعدت الأهرامات والبرج والنيل، كلما شعر بضيق في التنفس إلى أن

استسلم لمشاعر الغربة المؤلمة وألقى برأسه على المقعد محاولا أن يهرب منها بالنوم.

إرتدت رشا فستان الفرح وسط الموسيقى، وظهر أدهم ببدلة حمراء ممسكا بسكين مهددا بقتل كل من يقترب منها، وحازم يتوسل له أن يتركها فبدونها لايمكن العيش ولن يتفس هواء نقيا، سأموت إذا أخذتها مني، لكن أدهم اقترب من حازم وأراد قتله فنبهته رشا، وبدأت المعركة وإشتدت وكادت أن ينتهى بمقتل حازم، لكن حازم إنتصر عليه في النهاية... تدخلت المضيفة وأيقظت حازم من حلمه، فقد حان وقت الإفطار.

أما رشا فقد صارعت أحضان أدهم، تلقت قبلات كما يتلقى حارس المرمي ضربات الجزاء، سهرت مع أدهم بناءً على رغبته حتى الصباح في نادي ليلى بشارع الهرم إحتفالا بزواجهما... رائحة الخمر تملء فمه، اشمئزاز، نفور، إرهاق، إنتزعها كما ينزع الورد من على الغصن، قطع شريان الحياة ليتلذذ برائحة جميلة منفردا بها... سدد ضربة الجزاء، دم الشرف يسيل، خمول، إعتذار لينام منفردا في غرفته الخاصة، هكذا تعود أن يمتلك الأشياء لوحده، إنتهى مشهد الإغتصاب...

في الدور الثالث تجلس هدى على سجادة الصلاة تقرأ القرآن داعية الله أن يرحم إبنتها امل، تدعوه بعودة زوجها سامح، فقد فشلت كل رسائل الرجاء لعودته، كان الدرس قاسيا.

دخلت عليها رشا وجلست معها تواسيها محاولة أن تخرجها من حزنها، رتبت لها غرفتها، وشعرت هدى أنها كسبت أخت وصديقة لها، بعد أن أخرجتها من غرفتها وأصرت أن يشاهدا مسلسل تلفزيوني معا. وشكرتها هدى أنها راعت مشاعرها بإلغاء حفل الزواج.

في ظهر يوم السبت، فوجئت رشا بوالدة حازم جائت تطمئن عليها وتطمئن أبيها صابر عليها، نظرت إليها فوجدتها على ما لا يرام، كانت عينيها تريد أن تقول شيئا، لكنها لا تستطيع أن تسأل عن حازم فهى متزوجة الآن.

مر شهر العسل واستلمت رشا العمل في الكلية معيدة في القسم وبدأت تحضر للحصول على الماجستير.

***

(٣٥)

أمام تلفازصغير معلق على قاعدة حديدية في معرض السيارات جلس نادر يطالع الأخبار، وبينما المذيع يشيد بالإنجازات التى تحققت خلال الأعوام السابقة، إنخفض صوت التلفاز القديم فالتقط نادر حذائه وسدد ضربة إلى التلفاز فعاد الصوت من جديد.

رأى نادر صديقه سامح يقترب منه فشعر ببعض الندم لتقصيره في زيارته والوقوف بجانبه في الظروف التي يمر بها.

إستقبل نادر سامح بترحاب وبادره بالعتاب لأنه لا يأتي ليجلس معه في المعرض.

- سامح: يعني إغلبوهم بالصوت قبل أن يغلبوكم، اترك هذه الحركات فأنا أعرفها جيدا.

تبسم نادر وإعتذر له متعللا بعدم قدرته على ترك المعرض، فمخاصي لا يحسن التصرف بدونه.

أخرج نادر من ثلاجة صغيرة بجواره قطعة جاتوه وقدمها مع الشاى إلى سامح الذي اكتفى بتناول الشاى، فأصر نادر على أن يأكل الجاتوه، وما أن بدا يتناولها وإلا وسأله نادر:

- ما رأيك في الجاتوه؟

- جيدة.

- بخمسة جنهيات.

كادت الإبتسامة تعرف طريقها لوجه سامح لولا أنه تذكر أحزانه فغلبت عليه.

- نادر: كل شهر أحضر فقط خمس قطع من الكيك ولا نأكل منها أبدا لأنها غالية الثمن، فقط نضعها للضيوف ونكتفي بمشاهدتهم وهم يأكلونها.

هنا تبسم سامح قليلا من طريقة نادر في السخرية. وبادر بسؤاله:

- كيف حال حازم في أمريكا؟

- منذ لحظة وصوله لم أسمع عنه شيئا.

- أريد منك خدمة يا نادر؟

- تفضل.

- كلم حازم يبحث لي عن فرصة عمل عندما يستقر في أمريكا، فمنذ فترة لا يظهر على الفيس وأنت أقرب له منى.

- ما أعلمه أنك تعمل في شركة إستثمارية كبيرة .

- الذكريات ستقتلني هنا، أريد أن أبعد.

- مثلك ملايين الشباب يريدون الهجرة، وهناك من يخاطر بحياته من أجل حلم بعيد المنال يدفع حياته ثمنا له.

- وضعي يختلف، أنا أخطأت في حق نفسي بزواجي من هدى بنت واصل، تخيلت أن الثمن سيكون مجرد تنازل هنا أو هناك في بعض الأمور، لكني دفعت ثمنا باهظا يا نادر.

- نعم، أنصحك بألا تعبث بذاكرتك في الماضى، فهو مؤلم حقا، أحصل على عنوانه من كابتن توفيق وأراسله يا سامح.

- أشعر ببعض الضيق في كلامك يا نادر، ما بك؟

- أمر بحالة نفسية سيئة بسبب المعرض والبيع ضعيف جدا، وليس لي دخل إضافي.

- تستطيع أن تغير النشاط .

- كل شىء في البلد مقسم على أشخاص لا تستطيع منافستهم إلا بطرق غير مشروعة، مثلا إذا فكرت أن تصنع زبادي تستجد الشركات الكبيرة التى لا تدفع ضرائب وتوفر علبة الزبادى بسعر لا تستطيع منافسته، واذا فكرت أن تصنع بلاط أو سراميك وجدت شركات عملاقة تحتكر الفرز الأول والثاني والثالث، حتى الحديد مسيطر عليه من قبل مستثمر واحد

فقط فلا شيء باقي غير المقاهى والبقالة، والمقاهي.

لا شيء يجدي، الثروة كلها تذهب إلى أشخاص معينون فقط، والحلم الذي خططت له بإقامة مشروع صغير في مصر يكبر مع مرور الأيام يتهاوى بمرور الوقت.

- لا عيب أن تقبل بربح أقل في بداية المشروع إلى أن يكبر يا نادر.

- الباعة ينتشرون في السوق يبعون وسشترون دون رقيب أو دفع شيء من تأمينات أو ضرائب، المشروع كل يوم يتلقي طعنات تقلل من عزيمتي، والدولة تترك الأمور عشوائية ولا تساند أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة، والبديل أن تسير في طريق الفساد، فإما أن تركب مع الفاسدين وتكون فاسدا أو تغرق في غيابات محيط عميق من الفق.

- لماذا إ ستعجلت فى استخراج الأوراق وكلفت نفسك الكثير؟، كان بإمكانك أن تستمر سنة أو سنتين بدون أوراق حتى تعرف أين تتجه الامور؟

- هذا يعني أنني أدفع رشوة لكل من يمر من الموظفين، فأبدا عملى بحرام.

- هذا أمر ضروري.

- الرشوة أصبحت أمرا مفروضا عن الشعب في كثير من المعاملات الحكومية لكن هذا يهدم البلد. ولن أشارك في هدم بيتي وبيتك أبدا. فحينما تنحدر القيم ينحدر كل شيء الفتوى، الاخلاق، التعليم، البحث العلمي، التنظيم، الإدارة، السلوك، النظافة، الخدمات، المواصلات، الطرق، البناء، وغيرها.

- ربنا معاك، الأيام دي صعبة على الجميع، ربنا يستر على الأجيال القادمة.

إنصرف سامح وصعد نادر لتناول الغداء كما تعود في تمام الساعة الثانية ظهرا، وترك مخاصى يجلس في المعرض. بعدها وقفت سيارة أمام باب المعرض ونزل منها إثنان، دخل أحدهما على مخاصى الذي يقف فيه وحيدا، وصوته كصوت فحيح الأفعى، بينما وقف الأخر على باب المعرض.

- هل أنت مسئول هنا عن المعرض يا سيد؟

أعجب مخاصي بالإحترام الذى أبداه الرجل بقوله يا سيد. وأجاب:

- نعم، وأيضا الأستاذ نادر

- هل أنت متعلم؟

- نعم ذهبت وأنا صغير المدرسة أسبوعين.

- معك شهادة تثبت ذلك؟

أخرج مخاصي من جيبه صورة شهادة من وزارة الصحة بأنه يعامل معاملة أطفال لضعف قواه العقلية وعليه كافة بياناته الشخصية.

- أين السجل الخاص بالمعرض؟

أحضر مخاصي صور من أوراق المعرض من درج مكتب نادر- هذه صور وليست أصل، ويجب عليك إحضار الأصول لتضعها في المكتب.

- أين حزام الأمان الخاصة بهذه السيارة القديمة؟

- الأستاذ نادر إشتراها من يومين وسيرسلها إلى الورشة لإصلاح كل العيوب.

- كيف تضع سيارة في المعرض بدون حزام أمان؟

هذه تعليمات يا سيد مخاصى، والمفروض أن أعمل لك محضر في قسم الشرطة، لكنى سأتركك هذه المرة فيبدو عليك إنسان محترم،

مخاصى رفع صدره معجبا بشخصيته، وسأله:

- من أين جهة حضرتك يا بيه؟

- من هيئة التفتيش على الأحزمة.

طلب اللص من مخاصى مفتاح السيارة ليختبر قوة المحرك وسرعة دورانه حتى يتأكد أنها أصلية، وبسرعة أعطاه المفاتيح فاستخرج منها مفتاح السيارة

النيسان الجديدة وترك سيارته القديمة أمام باب المعرض مما طمأن مخاصى، وركب الرجلان السيارة الجديدة وإنطلقا .

نزل نادر بعد الغذاء، وجد سيارة تقف أمام المعرض.

- نادر: ماذا تفعل في السيارة؟

- جاء موظفان من هيئة التفتيش على الأحزمة، وكادوا يسجلوا لك محضر في الشرطة لأن السيارة القديمة ليس بها حزام أمان، لولا تدخلى يا أستاذ نادر.

- هيئة التفتيش على الأحزمة!... شك نادر في الأمر سريعا نظر حوله قائلا: أين السيارة النيسان الجديدة ؟

- ذهبوا ليتأكدوا إذا كانت السيارة مغشوشة أم لا، لا تقلق ترك سيارته أمام الباب.

نظر نادر إلى السيارة فوجدها قديمة ولا تساوي شيئا أبدا، فأيقن أن السيارة النيسان سرقت فجن جنونه:

- الله يخرب بيتك زى ما خربت بيتي يا طنبوشة. ونادى على والده وأخبره بالأمر، وطلب منه أن يجلس في المعرض ليحضر أمين الشرطة ليفعل له محضر ومعاينة سرقة.

دخل نادر قسم الشرطة، وكتب محضر سرقة سيارة، وأبلغ عن السيارة القديمة التي تركها اللص أمام المعرض.

***

(٣٦)

انتظر مينا صديقه حازم في مطار كاليفورنيا ومعه مندوب من إدارة النادي وبعد أن رحب به تركه مع مينا الذي أخذ صديقه في جولة سريعة بالمدينة لزيارة أشهر معالمها.

وفي اليوم التالي استقبلت إدارة النادي حازم ومينا، وتم إجراء الكشف الطبي لهما، واستاجرت لهما شقة صغيرة بعد نجاحهما في الإختبارات.

انتظم حازم ومينا في التدريبات بجدية بمساعدة الأجهزة الحديثة والتمارين المتقدمة إلى حد كبير، مستعينا بعزيمته القوية التي لا تلين، وإصراره على مواصلة الحلم مهما كانت الصعوبات، وأيقن أن الغرب يتعامل مع كل شيء بمنهج له أصوله وقواعده العلمية، وليس مجرد إجتهادات فردية من هنا أو هناك.

كان مدرب فريق كاليفورنيا للجودو مستر جون يشجع حازم لموهبته، ومثنيا على أخلاقه وطريقة معاملته لزملائه، وسرعان ما بدأت علاقة صداقة بينهما فلا فرق هناك بين معلم ومتدرب، وإندمج في الحياة الغربية بشكل سريع.

أبلغه مدربه أن الأسبوع القادم ستبدا بطولة نوادي الولاية، وأخبره أنها فرصة جيدة للإحتكاك واللعب مع عناصر لم تلعب معها من قبل، لتعرف مفاتيح القوة والضعف لديهم، استعدادا لترشحك لبطولة العالم لوزن المتوسط، قائلا لحازم ومينا:

- ليس مطلوب منكما الفوز بالبطولة، فلم يمض وقت كاف للتدريب معنا، لكن فوزكما سيكون عاملا إيجابيا وماديا أيضا من إدارة النادي وكذلك التصويت على إختياركما لتمثيل أمريكا في بطولة العالم.

واصل حازم إجتهاده في التدريب حتى وصل ثمان ساعات يوميا، وخلال البطولة واجه منافسة صعبة لكنه إستطاع هو ومينا الفوز ببطولة نوادي ولاية كاليفورنيا. واحتفلت إدارة النادي بهما ووعدتهما بالتقدم بالأوراق للحصول على الجنسية في أسرع وقت.

بحث حازم عن عمل منذ وصوله كاليفورنيا، فلديه وقت كاف لكي يتمرن

ست ساعات يوميا ويعمل ثمان ساعات، وقضاء حاجاته في باقي اليوم، ورشحه صديقه المدرب جون للعمل في شركة صيانة الأجهزة، مثل أعطال الكهرباء والمياه والسباكة والمكيفات .

طلب جون من حازم عمل سيرة ذاتية (C.V) موضحا فيه خلفيته البسيطة في إصلاح الكهرباء ونصحه بألا يعتمد عليه في المقابلة، فالواسطة هنا لاتفيد، وألا يبالغ في كتابة السيرة الذاتيه لأن الكذب هنا جريمة كبرى، فأعد حازم ما طلب منه وتقدم للإختبار ونجح، وتم إعتماده عضو عامل في شركة الصيانة.

***

(٣٧)

واصل الحاج صابر بحثه عن إبنه وليد، ذهب إلى نادر ربما يكون أفضى له بسر قبل غيابه في لقائهما الأخير، إلا أن نادر لم يكن يعلم شيئا عنه منذ المقابلة الأخيرة لكنه عبر عن شكوكه من هروب نادر مع جماعت التشدد، ربما سافر إلى خارج مصر أو يكون مختبئا في مزارع سيناء.

كلمات أطلقها نادر على مسامع الحاج صابر فأصابته بالذهول وتملك الخوف قلبه وشعر برعشة في جسده.

- الحاج صابر: هل يصبح إبني إرهابيا يقتل ويفجر وربما يموت في أى لحظة أو يقبض عليه، ما العمل؟

- نادر: لا أعتقد ان وليد لديه القدرة على التفجير والقتل ومثل هذه الأشياء يا عم صابر. إن شاء الله سيكتشف كذبهم وتزويرهم للحقائق ويعود بسرعة إلى بيته. حاول نادر أن يطمن الحاج صابر، لكن الرجل بمجرد سماعه لشكوكه ظهر ككهل يتلمس الخطى ليصل إلى البيت. وهناك تحول المشهد إلى مشهد حزين بطله الصمت والخوف من الأيام القادمة...

دخل إلى غرفته وجلس على سريره وتذكر أيام طفولته وكيف كان وليد طفلا رقيقا خجولا، ولم يصدق أن ابنه الصغير كبر وأصبح إرهابيا يحمل السلاح ويقتل من أجل أفكار خاطئة.

ذهب صابر إلى إبنته رشا ليطمئن عليها فلاحظت توتره وسألته:

- ماذا بك يا بابا طمني أرجوك؟

- لاشىء لاشىء.

- لازم تقول لي ماذا بك؟

- وليد من أربع أيام لا أعلم عنه شىء.

- كيف؟

- سألت عنه من يجلس معهم لا أحد يجيبني، وأريدك يا إبنتي أن تكلمي أدهم ليبجث عنه، لكني أخشى أن يسبب لك هذا حرج.

- ليس هناك حرج إنه أخي، إما يساعدني أو أكون لي معه كلام آخر، لا تقلق يابابا.

- أخشى أن تسوء العلاقة بينكما بسبب وليد، فأدهم مثل أبيه لا يخدم إلا بمقابل .

- لا تقلق يا بابا سنبحث عليه ونحضره إلى البيت.

- وأنت كيف حالك يا حبيبتي؟

- الحمد الله يابابا.

- كيف حال أدهم معك؟

- كويس.

- يبدوأ عليك أنك تعبانة ولون وجهك ليس كما تعودنا عليه يا رشا، أين ضحكتك الصافية؟... أخبريني ما بك؟

صمتت رشا وكادت تبكي، لكنها تذكرت أن والدها ليس لديه القوة لكي يعرف أنها غير سعيدة مع أدهم الذي يعاملها على أنها مجرد سرير فقط ينام عليه ليرتاح دون إحساس.

- فقط مجرد تغير المكان يا بابا.

إنصرف صابر من عند إبنته بعد توديعها. وفي المساء أخبرت أدهم بقصة وليد وطلبت منه أن يبحث عنه فتبسم أدهم واستغربت رشا من ذلك لكنه وعدها أن يبذل قصارى جهده ليعود وليد إلى البيت دون أن تشعر الجهات الأمنية بذلك.

***

(٣٨)

يومًا بعد يوم، رشا تبهر أساتذة الكلية من سعة الأفق وسرعة التحضير وكثرة مصادر البحث وإلتزامها بالمواعيد وقدرتها على تحمل أعباء العمل.

حملت رشا بعد عام من زواجها وأنجبت إبنها وائل ولكن ظل أدهم على حاله، متقلب الهوى، عصبي المزاج خاصة الأوقات التى يمتنع فيها تناول الحبوب المخدرة والمنشطة، حتى يتمكن من السفر للمشاركة في البطولات التى تقام خارج مصر كنوع من الفسحة والتنزه، وأخذ إجازة مدفوعة من العمل والسفر على حساب رعاة البطولة.

وصل الفساد منتهاه، حتى تمثيل مصر في الخارج لا يهم أن يحقق بطولة، المهم السفر والحصول على مزايا السفر.

ما زال البحث جاريًا عن وليد، توترت العلاقة أكثر بين أدهم ورشا بسبب خيانة أدهم المستمرة لها، وصبرت وتحملت كل أنواع العذاب فأصبحت تكره لقائه على سريرا واحدا ولم تشعر مرة بلذة في لقائه، ونزواته النسائية لا تتوقف.

ذات مرة إتصلت واحدة من اللاتي غررن بهن أدهم وأخبرت رشا أنه يمارس الرذيلة في شقة بالمعادي وأعتطتها عنوانها، وعلي الفور اقتنصت الفرصة وأخبرت هدى أنها تريدها في أمر ما خارج البيت فذهبت معها، فقد توطأت العلاقة بينهما إلى حد بعيد، ذهبت معها في الطريق بدت رشا مشغولة.

- ماذا تفعل لو وجدت أدهم في أحضان إمرإة أخرى ؟، وهدى تحاول أن تعرف بماذا تفكر ورشا تبعدها حتى لا تعود إلى البيت وتتركها تذهب لوحدها.

لاحظت رشا سيارة أدهم أسفل البيت فصرفت نظر هدى وصعدت معها وطلبت من هدى أن تدق الجرس.

فتحت شابة في العشرين ترتدى قميص نوم أحمر اللون ذو خيوط شفافة لا يخفي شيئا من جسدها، يشع منه ضوء خافت يضىء قليلا من الظلام بلؤلؤه الصغيرة المنتشره على حافته، يتباهى بفشله في إخفاء مناطق الجمال، ينتهى

برابطة على العنق، ما أن تسحبه بيدك إلا ويسقط كما يسقط الرسام الغطاء من على منحوتته الجديدة.

- من أنتم وماذا تريدون؟

ألقت رشا بجسدها الضعيف على الباب وفتحته بالقوة ودخلت هدى ورائها مستغربة الأمر، فلم تكن تعلم ماذا يحدث، ولماذا دفعت رشا الباب بقوة ودخلت دون إستئذان؟

أدهم مرتديا بوكسره وغارق في السكر حدق بعينه في وجه رشا وحك بيده تحت عينه لعله يحلم.

- نعم هى هى رشا، ما الذى آتى بها هنا؟

نظر إلى نفسه لا يرتدي غير البوكسر أمام زوجته وأخته، ترك كأس الخمر وسحب مفرش الطاولة وهو جالس على الأرض، حاول أن يستر نفسه امام أخته فتحسس ملابسه ويداه ترتعشان من المفأجاة.

نظرت رشا إلى أدهم ولم تتكلم، أرادت أن تملأ عينها من ضعفه، نظرت إلى عينه لترى إنكسارهما وهو يحاول ان يهرب بهما كأنه طفل تبول على نفسه في طابور الصباح.

أظهرت بعض الغضب، لكن قلبها ملأه الفرح، فقد كانت تعرف ماذا تخطط، ومتى وكيف... ثم أخذت هدى وإنسحبت دون أن تتكلم بكلمة واحدة، بعد أن نجحت محاولة توثيق الخيانة بشهادة شهود، ومن يكون خير من هدى شاهدا عليه!؟

- لماذا تعرضي نفسك لمثل هذه المواقف الخطرة، ولم تخبريني قبلها؟... أسئلة وجهتها هدى لرشا ولكنها لم ترد ولسان حالها يتعلل بأنها لا تستطيع الرد من قوة الصدمة.

عاد أدهم إلى البيت فاستقلبته رشا وكأن شيئا لم يحدث، مما زاد من حيرته وتعجبه بعد أن دعته لتناول العشاء معها، وهرولت لتصنع له كوبا من الشاى عقب العشاء، فنظر إلى كوب الشاى وقد تسرب في نفسه أن فيه سم، فحاول

أن يذوقه بلسانه أولا ثم طلب منها أن تحضر قطعة بسكوت وفي تلك الأثناء غير كوب الشاى ووضعه مكان كوب رشا التي أحضرت قطع البسكوت ثم فاجأته بقولها إشرب الشاى ليس فيه غير السكر فقط.

إنتصبت شعيرات أدهم من الدهشة والطريقة التى تتبعها في معاملته بعد هذا الموقف، فكر أن يجعلها تثور حتى تخرج ما بداخلها ويعرف ماذا تريد، ولماذا الصمت، فاقترب منها وحاول أن يتلمسها ففاجأته بأن طلبت منه أن ينتظر ودخلت غرفتها لبعض دقائق.

ظن أدهم أنها ستخرج ومعها شيئا لتضربه بها على رأسه فقرر أن يتلقي الضربة ويتظاهر بشدة الألم، فهذه الطريقة الوحيد التى يخرجها من غضبها خوفا من أن يتسرب الأمر إلى فريدة وواصل فيسمع ما لا يرضيه وربما يسحبا منه السيارة.

نظرات أدهم لم تتحرك بعيدا عن باب غرفة النوم فهو يستعد للضربة محاولا التقليل من تأثيرها.

خرجت رشا وقد تزينت بأحسن زينة كأنها عروس ليلة زفافها، أدهم يحدق فيها ويحك بيده عينه حتى يتأكد أنه لا يحلم، خبط بيده على رأسه مرة أخرى لعله يكون مخمور، ثم إقترب منها قائلا:

- إيه الجمال ده... إيه الحلاوة دى؟

وقفت رشا تنظر في عيني أدهم، عيناها تقول شيئا وحركاتها تحكي شيئا آخر. وانصرف أدهم إلى غرفته فلم يكن مستعدا للقائها، كما أن الموقف لا يحتمل لقاء حميميا، ولم يكتف بغلق الباب بالمفتاح بل وضع كرسيا وراء الباب لضمان عدم تمكنها من فتحه.

في الصباح أيقظت رشا الصباح أدهم وأعدت له الحمام ثم الفطار، وقد أتعبه التفكير فلا سبيل إلى أن تعرف كيف تخطط النساء؟

بدأت رشا ترتب أوراقها من أجل الطلاق حتى تخرج من البيت دون ضرر ومعها إبنها وائل.

أنهى أدهم إفطاره وذهب متوجها إلى عمله في نادي الجزيرة، وكان يتطلع لنقله إلى إدارة مهمة بوزارة الداخلية تجعله أكثر نفوذا، لكن هذا كان صعب جدا لأنه أكاديمي يجب أن يعمل في تخصصه الذى دخل الأكاديمية من اجله، لذلك هو دائم السفر للعب بإسم الداخلية أو اللعب بإسم الإتحاد.

طلب منه رؤسائه أن يكتب تقريرا عن أى أشخاص يشك فيهم، فكتب على الفور ودون تردد تقريره الأول في وليد صابر شقيق زوجته رشا، واحتفظ بنسخة مصورة من التقارير التى يكتبها ليتمكن من مراجعتها عن إستدعائه، فوجدت رشا صورة من االتقارير نسيها في البيت، من بينها تقريرا ضد أخيها وليد فأدركت رشا لماذا تبسم عندما طلبت منه مساعدتهم في البحث عن وليد.

عاد أدهم من عمله فوجد ورقة مكتوبا عليها: "أغلقت مجرى دمي تجاهك بإصرارك على الإنتهازية وإنتزاع الأشياء دون وجه حق، وأغلقت مجري المياه بخيانتك المستمرة، وأغلقت الطريق بيننا بكتابة تقرير في أخى وخال إبنك بعدما لجأنا إليك لتساعدنا لا لتؤذينا. خلقك الله بوجه واحد وخلقت لنفسك وجوها كثيرة، وجه للنفاق ووجه للكذب، وجه للخسة والندالة وجوه أخرى قذرة. الخيانة بالنسبة لي دونها الموت وبالنسبة لك هى الحياة... انتظر ورقة طلاقي... رشا".

خوفا من أن يعرف الناس بحقيقته سارع بطلاقها، ورد عليها بخطاب ارسله لها إعترف فيه بتقديره لها لكنه أنهى خطابه بقوله:

"من السهل أن تكتشف عيوب الناس لكن من الصعب أن تعرف عيوب نفسك، فكثيرا ما نهول من أخطاء الناس ونصغر من أخطائنا نحن البشر.

دخلت بيتي وأنت تحبين رجلا آخر، وعندما عرض عليك والدي أن يكون التعيين مقابل الزواج منى قبلتي، فلم الندم عندما جاء دورك أن تدفعي الثمن، أنت طالق".

حصلت رشا على الطلاق، دون خسائر ودون أذى أدهم وواصل، وعادت لغرفتها ومعها إبنها وائل، وقفت وراء الشباب تنظر كأنه ما زال واقفا تحت البيت ليودعها، تراقب الخطى في الشارع لعله يظهر بين لحظة وأخري،

ما زلت أذكر يوم وفاتى، يوم سافر، السيارة تبتعد وتبتعد، لحظات وداع مؤلمة حفرت مشاهدها في مفكرة الألم، ولامست أصابعها "سي دي" مكتوب عليه غناء ميادة الحناوي، وضعته في الكمبيوتر ولسان حالها يسأل: عدت يا حبيبي، فهل ستعود؟

وعلى صوت ميادة وقفت تغني:

كان ياما كان كان ياما كان

كان ياما كان الحب مالى بيتنا

ومدفينا الحنان ..

زرنا الزمان سرق منا رحتنا

الراحة و الأمان ..

حبيبي كان هنا مالى الدنيا عليُه .. بالحب والهنا

حبيبي يا انا يا اغلى من عينيُه .. نسيت من انا

انا الحب اللى كان .. اللى نسيته قوام

من قبل الآوان ..

نسيت اسمى كمان .. نسيت يا سلام

وسط تصفيق الحضور ودموع الحاج صابر وفرحة كابتن توفيق وزوجته، حصلت رشا على الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى، وأوصت اللجنة المشرفة على البحث بطباعتها على نفقة الجامعة، وبدأ الطريق إلى تحضير الدكتوراه على حساب الكلية، وعلاقتها بزملائها ورؤسائها أصبحت قوية، لكن غياب وليد ظل يؤرقها.

***

(٣٩)

إتصلت سيدة أمريكية تشتكي من وجود شرر كهربائي يخرج من سخان البيت وتخشى من حدوث حريق، فأجهزة الإنذار معطلة بسبب غيابها لثلاث سنوات عن المدينة، وعلى الفور تحركت سيارة الصيانة ومعها حازم لمنزل المواطنة الأمريكية.

وما أن وصل حتى حدثت المفأجأة، البيت يتصاعد منه النار بكثافة، لم تستطع السيدة أن تخرج منه بعد أن إنفجر السخان ولامس الشرر انبوب الغاز في الدور الأول، بينما السيدة كانت تجلس في الدور الثاني بعدما أنهت الإتصل بالشركة.

دقائق وتلقى الدفاع المدني البلاغ بتصاعد النار من البيت، وأن البيوت الأخرى على وشك الإحتراق وربما تمتد النيران بسبب سرعة الرياح لتلتهم كل عقارات الكومباوند.

وخلال هذه الدقائق صعد حازم الطابق الأول وسط النيران وإستطاع أن ينقذ السيدة ويخرج بها من شباك خلفي، قبل أن تلتهم النار كل محتويات الطابق الأول ثم الدور الثاني، وبدأت سيارات الإطفاء تحيط المكان والسيدة ظلت تصرخ بأعلى صوتها، فاعتقد حازم بوجود شخص أخر في البيت، لكن الوضع أصبح مستحيلا أن يدخل مرة أخرى.

إستجمع شجاعته وصعد على سور بيت مجاور ليقفز على الدور الثاني، وكاد أن يسقط قبل أن يلتقط سياج البلكونة الحديدي ثم التقط أحد أعمدة السياج وتشبث به وصعد، حينها كانت النيران تقترب من صالة الطابق الثاني وباقي الغرف ما زالت مقفلة، فجرى سريعا نحو باب الغرفة المجاورة ودفعه بقوة فوجد كلبا يجلس بجوار بنت صغيرة تحتضر يأبى أن يفارقها ويهرب أو يلقي بنفسه من الشباك.

تعقد الوضع ووصلت النيران إلى أوجها في كامل البيت وبدأ السلم ينهار، وطيارت الإطفاء تنتشر في المكان، ولم يعد هناك سبيل من العودة من حيث

دخل، فحمل الطفلة وتحرك ورائه الكلب بسرعة وصعد السلم فوق أسطح البيت قبل إنهياره، وما أن وصل السطح حتى إنهار السلم تماما فخلع قميصه وأشار به نحو الطائرة التي إقتربت منه ونزل رجل الإنقاذ عن طريق سلم الإنقاذ وطلب من حازم أن يحمل البنت ويتمسك بحبل الإنقاذ.

رفض حازم، فهناك الكلب الوفي يقف بجانبه، وطلب من رجل الإنقاذ أن ينقذ البنت وينتظر هو الطائرة الأخرى ليتعلق بالحبل هو والكلب، وعلى الفور جائت الطائرة الثانية وألقت بحبل الإنقاذ فأخذه حازم وحمل الكلب وتمسك به حتى هبطا بأمان، وفي تلك الأثناء التقطت آلاف الصور وحازم يحمل الكلب ويتمسك به مع الحبل.

"شاب مصري ينقذ أسرة وكلبها من الحريق"... هكذا كانت عنوانين الصحف الصادرة صباح يوم الحريق ومعها صورته وهو يحمل الكلب مع الحبل في الهواء. وتابعت بعض وسائل الإعلام المصرية الخبر وانتقل إلى كافتريا الشباب ثم إلى قهوة زعتر ثم إلى المنطقة كلها.

تابع مستر إدوارد زوج السيدة الامريكية الأحداث بشغف وخوف وقلق من خلال وسائل الإعلام في لندن، بعدها وصل إلى كاليفورنيا وإستدعى حازم وشكره وأعطاه شيكا بخمسين ألف دولار تقديرا له، وأعلن فندق كاليفورنيا إستضافة حازم لمدة عام كامل في جناح خاص تقديرا له ونوعا من الدعاية للفندق.

قناة NNC تستضيفه في لقاء تلفزيوني مقابل عشرين ألف دولار، وشركة غذائية كبرى تطلب توقيع حازم لعمل إعلانات للشركة بمبلغ مليون دولار... هكذا رفضت أمريكا أن تعطى الفقر تأشيرة دخول مع حازم إليها، إتصل حازم بكابتن توفيق:

- أيوا يابابا أنا حازم.

- حازم حبيبي عامل إيه، أخبارك إيه يابطل، دموع الفرحة تعرف طريقها إلى وجه توفيق، الناس كلها تتحدث عنك يا إبني،

- خلاص يا بابا الفقر ودعنا، هنكس البيت، هتكمل علاجك أنت وماما، هرسل

لك الفلوس الآن على البنك الأهلي المصري، والباقى خلال شهر واحد.

في الطابق الثلاثين يطل حازم من شرفته في الفندق على حديقة يوسمايت الوطنية التى تعد من أجمل الحدائق فى كاليفورنيا، الرياضات المائية فيها من أمتع وأكثر الرياضات النشطة فى الحديقة التي يزورها أكثر من ٤ ملايين من السياح والأجانب وسكان الولاية.

صار حازم توفيق حديث الشارع الامريكى لفترة طويلة بعد حادث الحريق، وتسابق الجميع لإلتقاط الصور التذكارية معه، الشهرة فتحت أمامه طرقا كثيرة يصعب على أى مغترب قادم أن يطرقها، أظهرت وسائل الإعلام حازم كبطل في محاولة للتخفيف عن المسلمين الأمريكيين من وطأة إتهامهم بالإرهاب. لكن لم تثنيه الأموال التى أغدقت عليه من الإعلانات من أن يواصل بحثه عن ذاته بعد أن اقترب من تحقيق حلم والده، الأجواء كلها مهيئة للنجاح.

أعلن يمينا مطلقاً أنني أنبذ وأتخلى عن الولاء لكل أمير وملك ودولة والسيادة التي تأتي منها المواطنة.

وأنني سوف أدعم وأدافع عن دستور وقانون الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل الأعداء المحليين والأجانب. وسوف أحمل الإيمان الحقيقي والولاء للشيء نفسه (الدستور والقانون).

وسأحمل السلاح نيابة عن الولايات المتحدة الامريكية عندما يكون مطلوباً بالقانون، ونقوم بالمهام غير القتالية في القوات المسلحة الأمريكية عندما يكون مطلوبا ذلك بالقانون. وسوف أؤدي العمل ذا الأهمية الوطنية في اطار التوجيه المدني(الخدمة الاجتماعية)عندما يكون مطلوبا ذلك بالقانون. وإنني أخذ هذا الالتزام بجدية وبدون تحفظ وبدون تهرب.فليساعدني الله)

أمام موظف مكتب الحصول على الجنسية أقسم حازم يمين الولاء للولايات المتحده الأمريكية، أصبح مواطنا أمريكيا، يلعب لأمريكا، يرفع شعارها. يحمل جوازها ويخفي جوازه المصري.

أُصر حازم أن يقيم مينا بجواره في الجناح الخاص به، دائما ما كان يفاجئه بالهدايا، وهو ما كان يغضب مينا ووصل الأمر إلى حد المقاطعة لأيام، لكن حازم يعرف انه غضب محمود لن يتوقف على شراء الهدايا والنفقة على مينا مهما أظهر من غضب، لا ينسى أبدا أنه سبب وجوده في أمريكا وبدونه كان الفقر سيظل رفيقه.

إصطحب حازم مينا داخل سيارته الجديدة في سان دييغو بحدائقها ومنظارها البديعة.

- مينا: لماذا اشتريت كاديلاك؟

- حازم: لأنها سيارة فاخرة واسعة تشعرك بالراحة.

- ليس معك عائلة حتى تشتري سيارة كبيرة.

- هذه السيارة صالونها يساوي مساحة بيتنا في مصر أو أصغر قليلا.

- ضحك مينا وتمنى له التوفيق.

- إصمت الآن.

- لماذا يا حازم؟

- كنت أحلم دائما بسيارة مكشوفة، شعر يتطاير في الهواء، شوارع جميلة ممهدة، صوت غناء ينبعث من السيارة وجميلة بجانبي.

- أما السيارة فأنت فيها الآن، وها هو الشعر يتطاير في الهواء، الشوارع كانها أعدت خصيصا لك، أما الجميلة فأنا لأصلح أن أكون، أفكرك فقط بجميل الحلاق. وها هو صوت أم كلثوم تغني،

ثم أخرج مينا "سي دي" كاسيت الأطلال وقدمه هدية لحازم بمناسبة سيارتة الجديدة. ثم قال له:

- هل تعلم أن إبراهيم ناجي كان يتمنى أن تغني إم كلثوم إحدى أغنياته ومات ولم يتحقق حلمه، لكن شاء الله أن تغني أم كلثوم الاطلال بعد مماته. فتحقق الحلم بعد مماته رغم أنه لم ير بعينه نجاح الأطلال، ما أقسى الزمن.

- تنهد حازم تنهيده خرجت من أعماقة قائلا بصوت حزين: هكذا دائما الأشياء تاتي دائما بعد فقدان لذتها، أسمعنا الأطلال يا صديقى العزيز.

شعرحازم أن رشا هى باب الفرحة الذى لم يفتح بعد، لكنه حلم إنتهى بغدر،... مازال حبها يملأ قلبه، عينه لا ترى إلا صورتها، عقله لا يفكر إلا فيها، في شريانه لا يسري إلا دمها. كثيرا ما يمشي بين الناس يراقب وجوهم لعله يراها من بين المارة، فكثيرا ما خاطرته أحلام اليقظة أن تاتي مع زوجها في إجازة لقضاء بعض الوقت في حدائق كاليفورنيا البديعة، من الصعوبة أن يترك الإنسان ذاكرته ويرحل، فإنسان بلا ذاكرة ، كأرض بلا ماء.

اتصل حازم بوالده يخبره أنه سيرسل تأشيرة الزيارة وتذكرة السفر لوالده ووالدته لعلاجها في مستشفيات كاليفورنيا، لكن كابتن توفيق مازال مصرا على العمل في مقهى زعتر رغم سعة الحال.

إستعد حازم لإستقبال والديه، فإستاجر بيت واسعا تكسوه الخضرة، وأعد كل شيء لهما داخل البيت، وأحضر خادمة تعرف بعض الكلمات العربية فهى من اصول مغربية.

***

(٤٠)

فتح ظابط الجوازات جوازا السفر وإبتسم قائلا بلغة عربية:

- أهلا وسهلا. وأكمل بالإنجليزية : مرحبا بكما في أمريكا، أنتما والدا حازم توفيق؟

- فهم توفيق أنه يرحب بهما وأجاب: ييس... وهنا إنتهت كل مفردات اللغة الإنجليزية عنده. وعندما خرجا من المطار وجدا حازم ومينا في إستقبالهما وسارع حازم وإلتقط أحضان أمه وقبلها على رأسها وإنحنى ليقبل رجلها فسقطت دموع الأم:

- لا لا تفعل ياإبني.

أما مينا فإحتضن كابتن توفيق لإعطاء حازم الفرصة لكي يحتضن أمه، وسرعان ما التفت حازم نحو توفيق وحضنه ورفعه من على الأرض قليلا، وسلم مينا على والدة حازم، ثم ركب توفيق وزوجته في المقعد الخلفي، وجلس مينا بجوار حازم.

- مينا: حمد الله على السلامة يا عمي.

- توفيق: الله يسلمك يابني. عامل إيه هنا؟

- مينا: الحمد الله الأمور تمام. ثم التفت إلى أم حازم وسألها: عاوز أسالك عن حاجة يا ماما؟

- عارفة هتسألني عن الملوخية، لا تقلق الشنطة دي كلها ملوخية، بمجرد أن نصل البيت هعملك الملوخية يا حبيبي.

- مينا بصوت عال: عاشت ماما منى.

ضحك الجميع. وأراد حازم أن يسأل عن رشا، لكنه لا يعرف كيف، يشعر ببعض الخجل أمام والديه، فسؤاله عنها يعني أنه مازال يحبها، وهو لايريد أن يبدوا ضعيفا.

- حازم: كيف حال عمى صابر؟

- مني: بخير.

- حازم: هل ظهر وليد؟

- منى: لا مازال غائبا.

توقف حازم عن توجيه الأسئلة، وهنا إلتقطت الأم مشاعر إبنها،

تخشى أن يعرف بطلاقها من أدهم فيطلب زواجها، فمازال في قلبها بعض الشيء لأنها تركته في ظروفه وتزوجت، كما أن رشا لم تعد وحيدة بل إبنها معها، وحازم يستحق أكثر من هذا. هكذا حادثت نفسها.

حاول حازم مجددا أن يلف ويدور حتى يصل لمبتغاه.

- أكيد عمي صابر فرحان بحفيده الصغير وائل.

هنا أراد توفيق أن يريح إبنه فهو يشعر به وبحبه الضائع:

- رشا تم طلاقها.

ضغط حازم على فرامل السيارة دون أن يدري فتوقفت، وشعروا جميعا أنهم على مشارف إصطدام السيارة بشيء ما، المفاجأة كانت قوية، ولاحظ حازم أن والدته تنظر إليه تقرأ أفكاره بعد ما علم بطلاقها.

- مني: رشا عادت إلى البيت مع إبنها وائل، إبن أدهم يا حازم. هل تذكر أدهم!؟

أشار على مينا أن يشغل الكاسيت ليغير الموضوع.

وصلوا البيت وهم مينا أن ينصرف ليترك حازم مع عائلته، لكن منى أقسمت عليه أن لا ينصرف إلا قبل الغداء معنا،

وبعد تناول الغداء، جلس حازم مع والديه يحاول أن يغير الموضوع ويهرب بتعبيرات وجه المكشوفة، سأل عن حال نادر والحاج علم الدين وسامح ووالده والمعلم زعتر، وأم عوض وإبنتها ياسمين، لم يتبق شيء إلا وسأل عنه، حتي

مخاصى الذى ترك العمل بعدما تسبب في سرقة سيارة من المعرض بغبائه.

صعد حازم غرفته وسط تفكير لا يتوقف، رشا تم طلاقها... وفي المساء إصطحب والديه في جولة سياحة بالمدينة ثم عشاء فاخر على بحيرة رائعة المنظر... توفيق يستمتع بمناظر ومعالم المدينة، ومنى تراقب وجه حازم، تريد أن تعرف ماذا ينوي بعد أن علم بطلاق رشا، هل سيعود معهما من أجل رشا، أم يتركها وشأنها وينتبه لمستقبله؟

مر أسبوع على إقامتهم في المنزل المؤجر، وجاء موعد المستشفي، إستقبلهما دكتور جونز بترحاب وأجرى الفحوصات الطبية لهما.

جاء التقرير أن توفيق يحتاج إلى علاج طبيعي لمده أربعة أسابيع يوميا ، مع بعض العلاجات، وأوصى الطبيب بأن يبقى كابتن توفيق في ضيافة المستشفى لمدة شهر لمتابعة العلاج.

- حازم : هل سيعود إلى حالته الطبيعة بعد العلاج يا دكتور؟

- جونز: سيكون أفضل كثيرا، لكن الزمن لا يعود كما كان مستر حازم.

أما عن حالة والدته فجاء التقرير أنها تحتاج إلى نقص وزنها الزائد لأنه سبب كل مشاكلها، وأوصى الطبيب بوضعها في مركز متخصص هو الأول من نوعه عالميا في علاج مشاكل السمنة لكبار السن.

رفضت منى أن ترك زوجها، فمنذ ثلاثون عاما لم تتركه لوحده، لا تنام إلا عندما تشعر بدقات قلبه بجوارها يعينها أو تعينه على بعض الأعمال، ورغم كبره في السن مازال يغازلها، يشكرأصلها الطيب، صبرها.

وبعد محاولات مضنية، وافقت منى أن تترك زوجها وتذهب إلى المركز المتخصص في علاج مشاكل السمنة... وعلى باب الغرفة إلتفتت تنظر إليه لعله يقول لها إنتظري لا تذهبي، دموعها تختبىء تحت جفونها لكن كابتن توفيق يعرف أن علاجها شىء ضروري.

إقتربت بطولة العالم للجودو التى ستقام في لوس أنجلس، وإنتظم حازم

في التدريبات، حلم بطولة العالم على بعد أربعين ليلة فقط.

مينا لم يكن يحلم بالبطولة، إكتفي بالحصول على الجنسية، وبدأ يخطط أن يقيم مشروعه الإستثماري في أمريكا، أن يفتح مطعم مصري في سان دييغو، لكنه إحتاج بعض الأموال ليكمل بها مشروعه فوقف حازم بجانبه يدفعه ويشجعه.

دخلت سيدة تبدو في الثلاثين من عمرها، نظر توفيق إليها نظرته الأولى، ثم تحاشاها فهو لا يعرفها ولا دخل له بها.

- منى: توفيق! عامل إيه؟

- توفيق: من...!؟

- ضحكت: معرفتنيش أنا منى.

- معقولة! كرشك راح فين يا ولية؟

- ما كانش عندى كرش يا خويا، شوية إنتفاخ، وده كلام الدكتور.

- كمان عرفتي إنجليزي. خسيتى النص يا منى.

- نعم، إيه رايك؟

- ما شاء الله، ناقص تلبسي بنطلون جينز مقطع وساقط من الخلف.

- يووه بقى.

- ضحك توفيق وقال لها حمدالله على السلامة وحشتيني.

دخل حازم عليهما بعدما مر على الطبيب ليعرف ما وصلت إليه حالة والده؟

- تحسنت حالته بشكل ملحوظ، يستطيع أن يمشى دون مشاكل لكن مازال هناك أثر بسيط في الوجه واليد. وأمر الطبيب بخروجه وحدد له جلسة واحدة للعلاج الطبيعي كل أسبوع لمدة شهر واحد.

على باب المستشفي، توقفت سيارة أجرة نزل منها مينا، ظن حازم أنه جاء

ليطمئن على والديه، لكنه لاحظ توترا ما في أسلوبه.

حاول حازم أن يعرف ماذا حدث... لكن مينا لم يجبه وتمتم بكلمات غير مرضية، هنا تدخل كابتن توفيق وسأله:

- ماذا بك يا مينا لا يجب أن تخفي علينا؟

- أعلنت قرعة بطولة العالم للجودو بعد إعتذار دولتين.

- طيب إيه المشكلة هنا؟

- القرعة التى إجريت من قبل حددت أن تقابل أمريكا البرازيل في الدور الأول، حدث تغير للجدول بسبب إنسحان ثلاث دول وسوف يواجه فريق أمريكا مصر في بداية البطولة.

لحظات صمت سادت كما يسود الظلام الليل. ووصل حازم البيت وجلس يفكر في صعوبة اللحظات التي سيواجها بعد أيام:

كيف يواجه مصر في البطولة وهو مصرى الهوى والنشأة والدم، كيف سيكون شعور والده وهو يفوز على مصر، من سوف يشجع والده، إبنه أم مصر، وما العلم الذي سيرفعه علم مصر أم أمريكا؟... الحياة لا تمشي على وتيرة واحدة أبدا. وطلب حازم أسماء اللاعبين ببعثة مصر.

المفاجأة!

أدهم البياع ضمن البعثة، وسيقابل حازم في نفس الوزن... ومساء ليلة للبطولة سافرت عائلة حازم إلى لوس أنجلس... وفي الصباح قدمت أمريكا عرضا مذهلا في إفتتاح البطولة بثته كل قنوات العالم.

إنتهى حفل الإفتتاح وبدات البطولة، وظهر حازم وهو يرتدى بدلة الجودو، وبدأ ببعض تمارين الإحماء لتجديد نشاطه وإقترب من بساط الجودو، ووجد أدهم أمامه يستعد لدخول البساط، بادره حازم بقوله:

- فضيحتك اليوم هتكون عالمية يا أدهم.

- ههه عندنا ما فيش حد بيسمع ولا حد هيحس بيك إذا كسبت.

- هييجي يوم ويسمعوا.

- أنت بتحلم.

- الحلم بداية الطريق.

- أنت بتحقد عليا وأنت فقير وغني كمان.

- لا ده إحساس بالظلم أنت متعرفوش، لما تجمع ثروتك من تعبك وعرقك دا طبيعى، لكن لما تجمع الثروة من عرق الناس أكيد هتكون إنسان ظالم.

- أنت هتعمل فيها زعيم؟ الناس ساكتة وراضية.

- الناس مغلوبة على أمرها وبتصرخ جواها.

- طول عمر الدنيا فيها سيد وخادم ، دا تقسيم ربنا.

- الأديان السماوية كلها أمرت بالعدل.

- أنت فاكر لما الفقير هيمسك منصب هيعدل بين الناس؟

- اللي داق الظلم عمره ما يظلم.

- أنتم أكثر ناس بتبيعوا بسرعة وبعدين تيجى تشتكي، حبيبتك رشا باعتك لما بابا عرض عليها الوظيفة.

- أخذتك وسيلة لتحصل على حقها المسروق وبعدين دي غلطة وندمت عليها، النحل لا يأخذ ريحيقه من المجاري يا أدهم.

- الأيام بيننا.

- لا االبساط بيننا الآن.

صوت مذيع البطولة،

المباراة الأولى: من أمريكا... حازم توفيق

من مصر... أدهم البياع

نظر حازم إلى والده وقد أمسك علم مصر لكنه لم يرفعه، وضعه جانبه، تابع النظرإلى والدته وجدها وضعت يدها على فهما من هول المفاجاة.

- مينا: عليك أن تنتقم وتأخذ حقك، شجعه بحماس.

- إرتفع صوت مينا: ليس حقك وحدك يحازم ، حقي أنا أيضا، وحق كابتن توفيق، وماما منى.

حازم في حالة ذهول، لا يدري ماذا يفعل؟

حيا اللاعبين بعضهما البعض وأعلن الحكم على ببدء اللعب، ومازالت حالة الدهشة تعتال حازم... شعار علم مصرعلى كتف أدهم، كلما إقترب من العلم إشتعلت النار داخله، صراع بين البطولة والوطنية.

ترك حازم أدهم يحصل ربع نقطة (يوكو)، ثم ربع نقطة أخرى، إنتصرحازم لنفسه وحصل على نصف نقطة (وزاري)، تعادل معه،

وظهر أدهم كطفل يتشاجر مع عملاق، لكن العملاق يتركه ولا يريد أن يفعل معه شيء، وشاشات التلفاز تنقل الحدث.

إنتهت الخمس دقائق وأعلن حكم المبارة التعادل بين اللاعبين، وسنحتكم إلى النقطة الذهبية التي تعني أن أول من يحصل على نقطة يعتبر الفائز بنتيجة اللعب.

إستأنف الحكم اللعب للوصول إلى النتقطة الذهبية، وجاء مينا وصرخ في وجه حازم: لن أسامحك أبدا، لن أسامحك أبدا، أنت تضيع حقنا. تذكر رشا.

ما أن سمع حازم إسم رشا وصوت مينا بقوله لن أسامح، حتى إنقض على أدهم ودفعه أرضا وضغط على ذراعه فكسره فإستغاث أدهم وأعلن الإنسحاب قبل أن تمر ٥٢ ثانية. وأعلن الحكم فوز حازم توفيق فجرى على والده في لحظة عصبية وأمسك بيد كابتن توفيق التى بها علم مصر ورفعها... يدان ترفعان علم مصر.

- حازم بصوت عال: أنا مصري أنا مصري، ثم أخذ العلم من أبيه ورفعه أمام وسائل الإعلام، تصفيق حاد في مقهى المعلم زعتر وكافتريا الشباب وزغاريد تنطلق من الشارع لا تعرف لها مصدر غير السعادة... أم عوض ترقص وسط نساء الشارع، ملح يرمى من فوق البيوت يتبعها حلويات صغيرة على الأطفال، دموع نادر وعلم الدين تسيل فرحا، رشا تبكي وتخفي مشاعرها، صابر يمسك علم مصر ويجري به في الشارع: تحيا مصر تحيا مصر.

تم نقل أدهم إلى المستشفي، يحتاج إلى علاج عشرين يوما، كتب القدر أن يمكث في لوس انجلس ويرى حازم وهو يفوز ببطولة العالم، وقرر الإتحاد الامريكى للجودو تحويل حازم للتحقيق بسبب رفعه لعلم مصر في البطولة وتجاهله علم أمريكا، لم يلتزم بالقسم الذي أقسم عليه، لكن اللجنة راعت الظروف التى مر بها حازم وراعت أنه فاز بالبطولة وتعهده بعدم تكرار ذلك.

زار كابتن توفيق سرًا أدهم وإطمئن عليه وطلب منه أن ينسى البطولة وأحداثها ونصحه أن يراعي الله في أفعاله. لكن أدهم إعتبرها محاولة للتشفي فيه.

ووسط الإحتفال والهدايا التى انهالت على حازم بسبب فوزه بالبطولة، والصور التذكارية، جلس توفيق في غرفته يتصفح صور الماضي، يراجع الذكريات، بداية مشواره في لعبة الجودو. نهاية حلمه بحادث السيارة.

تذكر الحلم الذي داهمه بعد حادث السيارة التي قضت على أمله في مواصلة لعبة الجودو، وتوسله إلى الرجل الذي شق قلبه نصفين وأخرج قلبه وأعطاه بعد توسل كبير قطعة من النور.

الآن أستطيع أن أفسر الحلم، القلب الذى أخرجه من صدري كان لعبة الجودو، بعدما توقفت عن اللعب، والتوسل كان لطول فترة العذاب والفقر، وقطعة النور كانت حازم الذي رزقني الله به بعد طول غياب ليحقق ما كنت أتمناه.

***

(٤١)

وقف نادر أمام معرضه بعدما أحكم غلقه بقفل صغير، لم يستطع أن يتنفس هواء نقيا، وسط غبار كثيف من تراب خانق، فشل أن يكون فاسدًا ومرتشيا ومنافقا أحيان.

في المساء جلس نادر على كافتريا الشباب يفكر، وعيونه يملأها الآسى على مجهود وأموال تبعثرت هباء، على مشروع لم يكتب له النجاح،

ماذا يفعل لكي يعيش آمنا في هذا البلد؟... لن يحتمل ألم الغربة، إلى متى نظل مغتربين ونترك البلد للظالمين ينعموا بها.

فشل في إعادة سيارته المسروقة... باع كل السيارات بثمن بخس إلى جاره الذى فتح معرضا على بعد خطوات منه محتميا بقوانين الفساد والغش، جاره يعرف كيف يتعامل مع الفاسدين، ماهر في خداع الناس، دعمه في ذلك إطلاق لحيته الكاذبة وكثرة الحلف بالله في غير موضعه.

أعياه التفكير، عاد إلى البيت وألقى بجسده على السرير، نام جسده، وظل عقله مستيقظًا يفكر.

***

إجتهد سامح في عمله وأتقنه، لا يتواني عن أى شيء يطلب منه، عمل منذ الصباح حتى المساء، لا يعود البيت إلا وقد خار جسده ليستقبله النوم دون مقاومة، يحاول أن يهرب من الماضى، صورة إبنته امل لم تفارقه وهو يلعب معها ويلاطفها ويحملها ويرفعها إلى السماء ليلتقط ضحتها البرئية قبل أن يلتقطها بين يده.

العمل بالنسبة له كالخمر الذي ينسيه آلامه ويخرجه من حزنه العميق. لم يصغ إلى محاولات هدى لعودته الى البيت رغم علمه أنها تغيرت بعد وفاة أمل، فهو يتهمها بأنها سبب الوفاة، إهمالها أدى إلى قطع شريان الحياة بينهما، فكيف يعود بلا شريان.

سامح يعيش بلا روح، يعيش كآلة تلف وتدور بشكل منتظم، لا يترك فرصة للتفكير أو يسترجع ذكريات هدى وواصل وإبنته امل. أيقن أنه أخطأ في الإختيار، وأنه إنحاز لأهل الفساد وترك الطريق الصحيح، وحتى وإن صعب عليه لابد أن يسود العدل.

***

تخرجت ياسمين من الكلية، وساعدها عملها السري في تعيينها صحفية مؤقتة في جريدة النفق، لعبت نفس الدور الذي كانت تلعبه في الكلية.

تقدم لخطبتها شباب كثر من المنطقة لكنها لم تقو على مواجهة نفسها فكيف تقوى على مواجهة الشخص الذى تسلم له نفسها وتأتمنه عليها، كيف يكون الحال إذا رأها تكتب تقريرا من التقارير، كيف تبدأ حياتها معه بكذبة؟

زواجها محكوم عليه بالفشل، رغم إصرار أمها، والنقاش المستمر الذى دائما ينتهى بمقاطعة بين الأم وإبنتها يظل أياما، ثم تعود الأم إلى إبنتها فهى لا تقوى على خصامها. لا بد من شىء يخلصها من هذا القيد ، لابد أن ننتصر...

***

جاء موعد الإنتخابات وخلت الصناديق من الناخبين وإمتلأت بأوراق مزورة بتوقيع واحد وعلامات على أشخاص محددة معروفة سلفا... إمتلأت ساحات المعارضة بالغضب لعدم حصولهم على قطعة صغيرة من الكيك كانوا ينعمون بها ويعشقون دور المعارض الشريف، فلم يعد لهم حيلة الآن إلا الصبر والإنتظار، فدوام الحال من المحال.

وإرتفع الفساد وترعرع، بنى المعلم زعتر دوره السابع وأكمل خدماته من كهرباء وماء بطريقة المحامي عفريته.

***

(٤٢)

انتقلت الأمور في مصر من سيء إلى أسوأ، إنحدر الوضع، لم يكن من الممكن الوقوف على الأرض المنحدرة، أو البناء على أرض رخوة، لم يستمع المسؤولون لآهات وصيحات الناس، نظرو إلى الفقير من نوافذ عالية شاهقة، صدروا الحل الامنى على كل الحلول.

من الله على مصر بجيل من الشباب الثائر، رفض الإستلام للذل والهوان، رفض الصعود إلى سفينة الفساد، أبحروا ضد التيار، أرادوا رسم طريق الحرية، طريق يضاء بأنوار الثقافة، تزينه التنمية، يسلحه العلم والمعرفة، الوطن في عيونهم أنشودة حب وطنية. مصر تنادي وشباب يلبي النداء... اجتمع الفلاح والطبيب، العامل والمهندس، الكاتب والأمي، حامل الصليب والهلال، رسمت لوحات، وعزفت الموسيقى، وإرتوت الساحات بمشاعر الوطنية الصادقة.

في الميدان أعلن نادر العصيان، إلتف يمينا وجد ياسمين ترفع علم مصر وتصرخ: الحرية لبلادي.

ورائه المعلم زعتر والحاج علم الدين وكابتن توفيق ،صابر وإسماعيل صاحب محل الكباب، كلهم يرفعون أعلام مصر، أم عوض ترفع يدها إلى السماء: اللهم إنصرنا على القوم الظالمين.

على يساره سامح يبحث عن علم ليرفعه، ينادي: أنا أسف يا بلادي، فتعطيه امراة ذات خمار العلم، ينظر في عينيها يعرفها، يشعر بها، هدى !

يقف وقد تجمدت الدماء في العروق تحتضنه بحرارة اللهب ذاب الثلج وإنصهر كالذهب، إحتضنها... بجوارهم رجل كبير في السن كاد أن يسقط مغشيا عليه.

- سأله نادر: لماذا تأتي وقد أعياك الهرم؟

- أجاب : لم نستطع أن نفعل شيئا لكم في شبابنا، ربما نستطيع أن نفعل شيئا في شيخوتنا.

وفي الأمام يقف الجلاد يمسك بمدفعه، يترقب، يتوعد، يطلق النار، دماء طاهرة تروي الأرض الطيبة... أدهم يقود فرقة للأمن، ياسمين تهتف: الحرية لبلادي، طلقة غادرة تخترق صدرها فتسقط على الأرض، سكرات موت تحمد الله وتبتسم أن إختار لها الموت في سبيل بلادها، تجمع أنفاسها لتلقي بيانا للحرية الأخير: انا حرة انا حرة. وسط أحضان أمها الملاقاه على الأرض، تتمتم بكلمات ليست ككل الكلمات:

- لا تحزنني يا أمي، سأقابلك في جنة الخلد، أنتظرك عند رب العرش الكريم، عند رب غفور رحيم.

ماتت في حضن أمها، ماتت بلا قيد يقيدها، بلا حد يوقفها، بل سد يمنعها.

تهبط الطائرة، ينزل حازم ومينا، حقيبة صغيرة على الكتف، إستعداد للإعتصام في الميدان، أعلام مصر ترفرف في كل مكان، دقت أجراس الحرية، إقترب الوعد الحق، غدا سنكون سواسية، لا فرق بينا، كلنا واحد، كلنا وطن، كلنا مصر... رشا تأتى ومعها إبنها وائل، تنادي: عاشت مصر حرة مستقرة.

قلب حازم يرتجف أحيانا، يخفق أحيانا أخري: لابد أنها هنا، أشعر بها، أشم عطر رحيقها، ألتمس دقات خطاها، ينتفض، هنا هنا.

- حازم!

- رشا!

عيون تبكي فرحة اللقاء، يد تمسح ألام السهاد، ومينا يبتسم، إقترب وائل من أمه، كاد أن يفرقها عن حازم، لحظات تفكير صغيرة، حازم يلتقطه، يحمله على الأعناق، يعطيه العلم، صوت يرتفع، يقترب: عاشت مصر حرة، عاش الهلال مع الصليب، صوت نألفه، نعرفه، وليد!

- أين كنت، ماهذا التحول؟

- اكتشفت كذبهم وضآلة عقولهم وحبهم الكبير للدنيا وللشهوات، وصدق جيفارا (إن أكبر إستغلال هو إستغلال الناس بإسم الدين)... دعوني

أبحث عن صديقى القديم جورج لقد وحشني كثيرا.

- صوت أجراس الكنيسة يعلو في السماء.

- صوت المؤذن، الله أكبر أللّه أكبر الله اكبر الله أكبر.

يصتف المصلون للصلاة، حازم بجوار رشا، يحميهم مينا من الخلف، حازم يقرأ سورة الإخلاص، ومينا يحمى ظهره بإخلاص، في مشهد لم تراه ولن تراه إلا في مصر.

أدهم يراقب، غضبه يشتد، يرفع يد سيف الظلم يطلق رصاصة الغدر، مينا يتلقي الرصاصة بشجاعة ودماء تنفجر وتسيل، وقبل أن يسقط على الأرض يحتضنه حازم ويصرخ غيرمصدق.

عيون تودع الحياة، روح تصعد إلى السماء، بكي حازم بكاءا مريرا:

- لماذا إخترت الموت مكاني؟

- مينا: مصر وطن يعيش فينا ونعيش فيه، كلنا واحد يا صديقي... ثم

صعدت الروح إلى بارئها.

- ياليتني ألحق بك.

أبت السماء أن يرحل مينا ويترك صديقه وحيدا، طلقات أخرى غادرة إستقرت في صدر حازم، فاختل توازنه فسقط على ظهره، وجرت رشا تصرخ كطفل وسط نار مشتعله، تجلسه على رجليها وقد عسف الدمع الجفون.

وشاع في الوجه الجميل الهذيان.

وإمتلأ الصدر باللهثان.

ماتت ذكريات الفرح الماضية.

وإنتهت كلمات الحب الصافية.

- لا تتركني وتروح، فكيف أعيش بعدك بلا روح، لا تؤخذ روحي وترحل،

لن تغادر، لن ترحل... دموع تتساقط كالمطر من عيون ملبدة كنوة برق في ليلة شتاء قاسية تسقط على وجه حازم، وهو ينازع الحياة، تبعدها عن وجهه.

- إتركيها تسقط، وإمسحي بها على وجهى، لعلى أتوضأ من دموع عينك الطاهرة، فأغسل بها ذنبوبي قبل الأخرة.

ضميني وأتركي قلبي لقلبك يبوح.

ففي حضنك، يلتئم كل الجروح.

فأنت المنى وفتنة الروح.

كم عشت أحلم أن اللقاء قريب والله للدعاء مجيب.

الآن أحتضنك الآن مصر تعود.

إنقبض القلب وإنحبس الصوت، وغيم الحزن المكان، وصوت الشباب يرتفع حرية حرية.

وسائل الإعلام تعلن عن إنتصار العدل وتنحي الظالم.

فرحة وبكاء، أمل وحياة... تسابق الشباب والبنات، الفقير والغني، يجمعون القمامة، يحملون الحجارة، يرسمون عصفورا على الجدران، ووقف الطفل وائل حائرا ينظر إلى يساره فيجد والده يمسك بمسدسه ويمينه رشا تبكي وتفتح ذراعيها لإستقباله، فإنحاز إلى أمه وجرى عليها فإحتضنته.

أمام قبرحازم، تقف رشا وسامح ونادر، يلقون نظرة الوداع المؤلمة، يحادثونه كأنه بينهم.

- رشا: إنتهى الظالم يا حازم.

- حازم: ليس المهم أن ينتهي الظالم، الأهم أن ينتهي الظلم.

- سامح: إنتهي دور حزب الكنبة من مصر.

- حازم: أخشى أن تختطف الثورة ويعود من جديد.

- نادر: هل سيولد الظلم ظالما جديدا.

- حازم: الثورة يفجرها مجانين بعشق أوطانهم، ويموت فيها الشرفاء، ويستفيد منها الجبناء.

- رشا: ارقد في سلام يا حبيبي، لقد وُلد فينا الأمل، ولا أحد يستطيع أن يقتله، سيبقى الأمل... سيبقى الأمل...